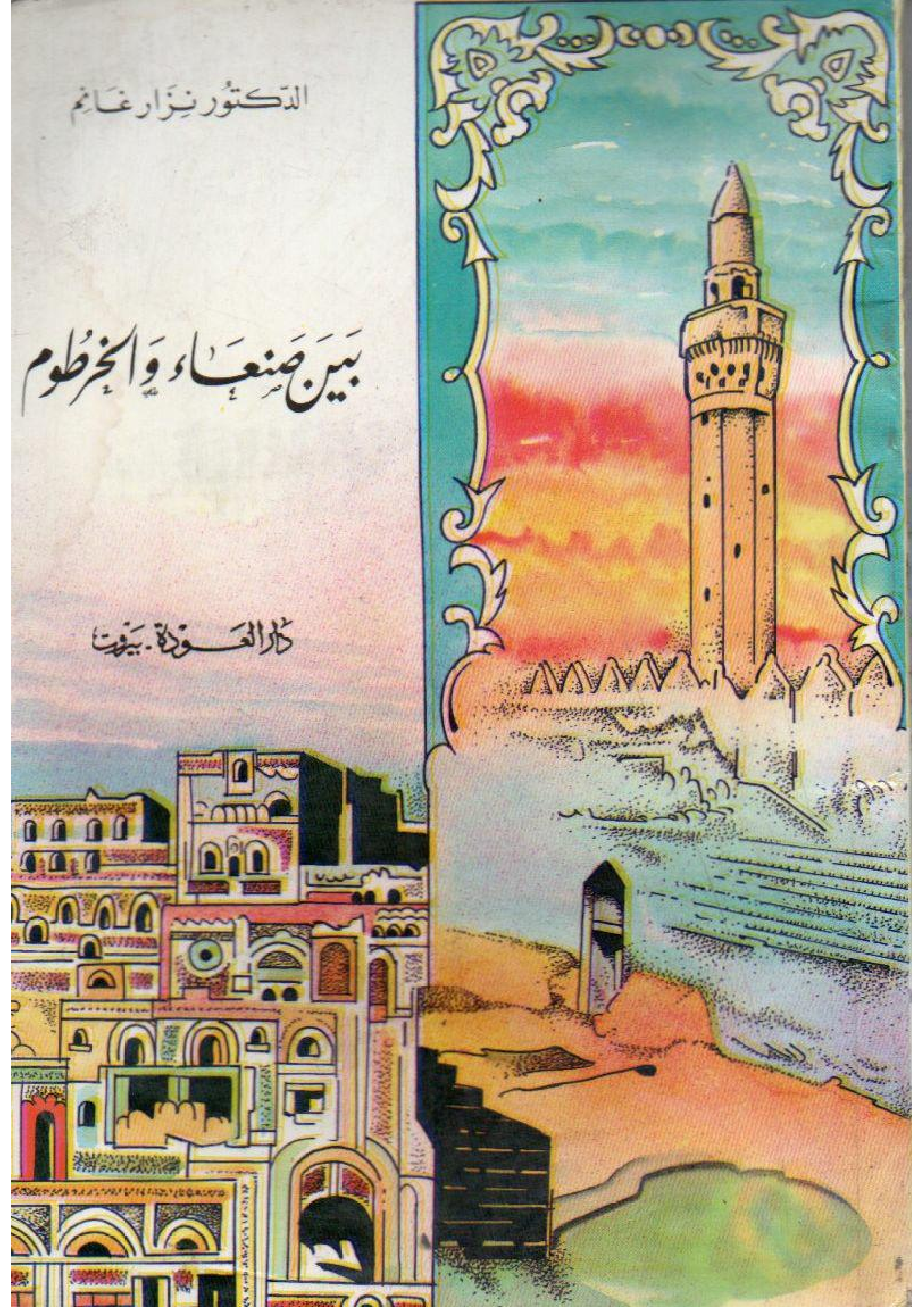

الدكتور نزار غانم
بين صنعاء والخرطوم
دار العودة . بيروت



بين صنعاء والخرطوم

الدكتور نزار غانم

بين صنعاء والخرطوم

دار العودة - بيروت

١٩٨٩

يُطلب من دار العـودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢ _ L _ E
ص. ب ١٤٦٢٨٤

الاهداء

إلى أولاد الدفعة : ود بادي وود العشا ومحمد الحسن ،
وإلى ابنتي الحبيبة : شيمـــــاء .

نـزار غـانـــــم

الفصل الأول

مدخل تاريخي

علاقات ما قبل الإسلام

يرجع تدافع العرب عبر البحر الأحمر[1] إلى ما قبل الموسوية حيث كانت السواحل المواجهة لليمن بشرق أفريقيا تعيش ببيئة عربية ما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد ، ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد نشط الطريق البحري للتجارة بين اليمن وحضرموت وشرق أفريقيا عبر القوارب الخشبية الصغيرة، وتتحدث بعض الكتابات الإغريقية عن أثر الجفاف في الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي سادت المنطقة مثلما حدث في حضرموت . وقد كان الطريق البحري الجنوبي تحت سيادة العرب حتى القرن الأول الميلادي وكان

---

(١) يشير أبو مخرمة إلى أن البحر الأحمر أو بحر القلزم كان براً واحداً حتى عدن ووراء جبل سقطرى ، إلى أن جاء ذو القرنين في طوفانه الدنيا فحفر ففتح فيه خليجاً من البحر فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب المندب فبقيت عدن في البحر وهو مستدير حولها . . .

العـرب يعملون كموردين لمحـاصيل هـذه المناطق ، وقـد تكثفت الهجرات اليمنية إلى شرق أفريقيا ما بين القـرن السادس والقـرن الثالث عشر بعد الميلاد . وتدفقت السامية من اليمن أكثر منها من الحجاز لوفرة السكان وصغر حجم الفاصل البحري وبراعة اليمنيين في الملاحة وسهولتها في النصف الجنوبي من البحر الأحمر إضافة إلى تـطلع اليمنيين للبحـر ووجـود موانيء طبيعيـة في الشط الأفـريقي المقابل . وهكذا بدأت الهجرات التي أعقبتها الصلات التجارية ، كما ساعدت عوامل أخرى كشح المطر الذي تبعته عواصف رملية عنيفة تهب من الداخل ، فهاجر بعض اليمنيين إلى جنوب منـطقة البجـة وتزاوجوا هناك وأدخلوا لغة الجعز التي تفرعت عنها لغة التقري ، كما ساعدت عوامل أخرى منها انكماش الطرق البحرية التجارية من العربية الجنوبية الـذي أدى بدوره إلى تحـول اليمنيين إلى الـرعي وهجرتهم بحثاً عن المرعى . ونذكر أيضاً بما ذكره اليوناني سـترابو (٦٦ق.م ـ ٢٤ب.م) وما ذكره المؤرخون من خراب سد مأرب مترافقاً مع احتلال الحبشة لليمن . ويشير هارولد ماكمايكل[٢] إلى أن الهجرة تصاعدت ما بين ١٥٠٠ و ٣٠٠ قبـل الميلاد في عهد دولتي معين وسبأ حتى وصلت وادي النيل فتحكم المعنيون والسبأيون في تجارة البحر الأحمر ، وفي القرنين السابقين للميلاد عبر الحميريـون وبعض الحضارمة البحـر واستقروا في الحبشة وتوغل بعضهم في بلاد النـوبة مصـاهراً قبـائل البجـة . ويذكـر هاميلتـون مجيء اليمنيين للسودان قبل الميلاد ومما ساعد على ذلك نقص الغذاء في بلادهم .

---

(٢) من أشهر كتبه (تاريخ العرب في السودان) .

وجاء السبأيون في عهد دولتي معين وسبأ (١٥٠٠ - ٥٠٠ق.م) وعلموا الوطنيين استعمال المعادن وأنظمة متقدمة في الري والزراعة وإنماطاً جديدة للنظام الجماعي والكتابة كما أدخلوا نباتات جديدة وأحضروا معهم حيوانات مستأنسة وتوغلوا حتى وادي النيل . وهاجرت قبائل مملكة عزان بجنوب جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا وكانت موزا في حمير آنئذ هي اليد الحاكمة وكان تجار موزا يبعثون سفنهم وعليها عرب يعرفون الأهالي ويتكلمون لغتهم ويتزاوجون معهم[٣] . ونشطت تجارة اليمن زمن البطالسة والرومان وعبروا النيل الأزرق ونهر عطبرة في القرنين السابقين للميلاد وعقب انهيار سد مأرب وكانت تجارة اليمن تنقل للبحر الأبيض المتوسط ، وهكذا كان اليمنيون يستفيدون سن نظام الرياح مئتي سنة قبل الإغريق والرومان فكانوا همزة وصل بين أفريقيا والشرق الأقصى والعالم المتحضر آنذاك ولا ننسى معرفتهم بالفلك وتحديد الاتجاهات بالشمس والقمر والكواكب الأخرى وارتباط حياتهم بالملاحة وموقع بلادهم الجغرافي .

ويذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمورهم فيقول : قال ابن حزم : هو أفريقيش ابن قيس بن صفي أخو الحرث الراعش وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقيا وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان مر بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم فاحتمل ألفاً منهم وساقهم إلى أفريقيا فأقر لهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال إنه الذي سمى

---

(٣) محمد عبد النقيرة ، انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له .

البرابرة بهذا الإسم لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم قال « ما أكثر بربرتهم »[٤] فسموا بالبرابرة والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ومنها بربرة الأسد ، ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها وليسوا من البربر . ويقال إن أفريقيش هرب من الآشوريين أو الأثيوبيين فهتف به « البر البر » أي إلى صحراء أفريقيا فاضطر لعبور النيل إلى قرطاج . أما الألماني تولد كد فيرى أن البربر قدموا شمال أفريقيا من موطنهم بشبه جزيرة العرب . وقد صور الشاعر اليمني نشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ) القصة شعراً[٥] :

وأخوه أفريقيس وارث ملكه حتف العدو وجابر الممتاح
ملك بنى في الغرب أفريقيا نسبت إليه بأوضح الإيضاح
وأحل فيها قومه فتملكوا ما حولها من بلدة ونواح

ومما ينسب لأفريقيش من شعر :

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الملك للعيش العجب
ورأت كوش لعمري دارها ترتقي عيسا لنا لا يشرب

وينسب المسعودي ملوك المقرة إلى أحفاد أبرهة ذي المنار (١٣٤ق.م) غازي السودان حتى المغرب وأحفاد ابنه أفريقيس

---

(٤) عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ، القسم الأول المجلد الثاني دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦م .

(٥) نشوان بن سعيد الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ، تحقيق : اسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ، طبعة ثانية دار العودة بيروت ١٩٧٨م .

غازي شمال أفريقيا (٤٦ق.م) ويقال جزائر المحيط الأطلسي . ويؤكد ذلك ياقوت وابن خرذاذبه حيث يشيران إلى نسبة النوبة وملوكهم إلى حمير ولقب ملكهم « كابيل » تصحيفاً لـ « من قيل » وهو لقب ملوك اليمن وأقيالها ، ويشير دي فيار إلى أن حمير عبرت إلى النوبة قبل الإسلام وتركت هناك أسماء أجدادها : كوه/ دراو/ سبأ . ويعرف جد ملوك المقرة بمقري كما يعرف جد ملوك المريس وهم أيضاً من النوبة بسلها وهو ينتسب لحمير اليمن .

ويشير الأديب السوداني الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير[٦] إلى نسبة مجموعة نوبية أخرى إلى القحطانيين وهي المحس الذين ينتمون إلى الأنصار من الخزرج وبالتحديد إلى أبي كعب الخزرجي الصحابي وفي ذلك يقول الشاعر محمد عثمان الجابري الخزرجي :

نحن الأب سعد والجدنا قحطان
ونحن البلفخر شاعرنا دايما طان

وتعرف منطقة كوش السودانية بحدودها الممتدة من جنوب الشلال الأول على النيل حتى سوبا أو بحيرة الأرواح جنوباً . وربما كانت سوبا محرفة عن سبأ إسم القبيلة اليمنية التي انتقلت قديماً من جنوب غرب شبه جزيرة العرب إلى حوض وادي النيل الأوسط فـ (سيبو) تنطق (شبا) أو سبأ التي صارت سوبا حيث أن الـ (بس) في اليونانية القديمة تساوي (شين) أو (سين) علماً بأن هناك تشابهاً في نظام تولي الملك وطقوس العبادة بين سبأ اليمنية

---

(٦) أنظر كتابه (العربية في السودان) .

وسوبا السودانية ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين أن سوبا أو مملكة علوة ربما كانت كلمة آرامية الأصل .

ويورد ماكمايكل رواية عربية تذكر أن أحد ملوك حمير وهو أبو مالك بن شمس برعش الحميري المولود سنة ٣١ للميلاد جهز حملة إلى منطقة البجة بشرق السودان خلال القرن الميلادي الأول وجاء يبحث عن المعادن والزمرد إلا أن جماعته ماتت عطشاً هناك .

أما البجة فيقول المسعودي إنهم من البربر وعاصمتهم سنة ٢١٦هـ هي هجر . وقد شهدت منطقة البجة أو نقيس أو البلميين استقرار عدة قبائل يمنية بها كالحداربة ـ ربما تصحيفاً للحضارمة . . مكمايكل ـ عند العتباي وتلال سنكات وفيها تحولوا من الوثنية إلى المسيحية ويشير المسعودي وابن حوقل والطبري والمقريزي واليعقوبي إلى أن الحداربة اعتنقوا الإسلام وبنوا المساجد في هجر وسنكات وصنجة . ويقول كامرون إن البجة سموا الحضارمة بالحداربة الذين أتوا في الجاهلية عبر البحر الأحمر واستقروا شمال سواكن حيث تزاوجوا بالبجة لا سيما الزنافج . غير أن نفوذ الحداربة تقلص رغم اعتناقهم للإسلام ونشرهم له نتيجة لهزيمة البشاريين لهم بسبب انتقال سوق التجارة والحج من عيذاب إلى القصير شمالاً وإلى سواكن جنوباً . . . ورأس الحداربة جنوب عيذاب هو كل ما بقي من ذكراهم .

واستقرت بلي اليمنية في البجة حيث اشتغلت في مناجم الذهب والزمرد والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغناطيس ونسبة إليها عرف البجة لغة البلويب إلى جانب لغتهم الأصلية أو التبداويت . ولتضارب المصادر في تحديد دخول بلي لشرق السودان

فالمؤرخ اليمني الهمداني يقول إن بلي عاشت في سيناء قبل الاسلام وجاءت بوفرة الى مصر في عهد عمر بـن الخطاب ، وكراون يقول إن البـلي أو البلو حميريـون هاجـروا للسودان خـلال القرن السـادس الميلادي ، وهناك من يقول بدخول بلي للسودان في أواخر القـرن الثـامن الهجري عن طـريق البحر الأحـمـر وينسبهـا الى عمـرو بن الحاف بن قضاعة من حمير . كما أن هناك من يقول بهجرتهـا زمن الشاسو وثمود مع جرهم حيث تزاوجوا بالبجة . وقد عملت بـلي كضمان يملكون الجمال عند رحلة ابن جبير في بلاد البجة بينما عملت دغيـا محلهم في رحلة ابن بطوطـة والادريسي . والبلو هم الطبقـة الارستقراطية الحاكمة من البني عامر وقد كونوا دولة نجزان أو دولة البلو في القرن الرابع عشر الميلادي وانتهت دولتهم في القرن السابع عشر الميلادي وتحولت إلى اسم النابتاب نتيجة لهجوم الفـرنج من الغرب وهجوم الأتراك من الشرق . ويقول لونغرنج إن البلو تحولوا من الـوثنية إلى المسيحيـة فالإسـلام في شرق السودان ، كـما يشير سلحمان إلى أن سواكن كانت تابعة لمملكة نجران أو مملكة البلو بناء على ما كتبه سائح برتغالي عام ١٦٠٠م في كتاب « موجز في وصف نهر النيل » ـ أنظر مومترنجر أيضاً ـ فربما كان الحدارب وبهراء أسماء أخرى لبلي . أما المسعودي فيصرح بأن موطن بلي الأصلي هـو الشحـر بحضرمـوت وأنها جـاءت للسودان قبـل الإسـلام . وقـد احتفظت بعض الأماكن في هـذه المناطق بـأسماء عـربية قـديمة كنجـران وقد كـانت الإسم القديم لمملكـة البلو بشرق السـودان وتدل الآثار اليمنية المخطوطة نحتاً في الحبشة وما جـاورها على وجـود يمني في المنطقـة يرجـع إلى القرن الـرابـع قبـل الميـلاد

ولذلك نجد كونتي روسيني يحاول الربط بين بلدة هجر وأتباي نجران ونجد آخرين يربطون بين مأرب اليمن ونهر مرب الذي يسمى جزؤه الأسفل بحوض القاش أو نهر الدجن . كما يحاولون الربط بين خور أونسبا وهو أحد روافد نهر بركة و «عين سبأ» علماً بأن السيادة على حوض القاش كانت للدجن الذين عرفوا أيضاً بالأونساب نسبة لأونسبا بينما كان البلو يسيطرون على حوض الدجن أي القاش وبركة في العصور الوسطى كما كان الحوض يشكل الحدود الغربية لمملكة نجران .

وفي القرن السادس الميلادي جاءت بطون من حمير إلى أرض المعدن ببلاد البجة واستقروا في عتباري وامتدوا إلى سنكات وأركويت وصاهروا البجة . وبتوقف إنتاج المعدن في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي تدهور حال بلي وكذلك جهينة ودغيم وبني كاهل ورفاعة فساروا إلى داخل السودان . وقد وجدت آثار قبور عربية في سنكات وفي هجر عاصمة مملكة نقيس من أسوان إلى خور بركة أو أرض المعدن سنة ٣١ للهجرة ـ أنظر اليعقوبي . . ـ ، ويتحدث الهمداني[٧] عن معادن الذهب في بلاد الأعاجم فيقول : من معادن أرض الحبشة والنوبة العلاقي نسبة إلى بني العلاق بن سليم بن منصور وهو جيد التبر وأشده حمرة وفقط وأرمنت وأسوان من بلد البجة ومن شطآن التبر عيذاب وسواكن . ويقال إن بني سليم كانوا بالعلاقي حتى نضوب معادنها في ١١٢١م . وتدل بعض الأعمدة بمنطقة البجة شمال شرقي عدوة على آلهة سبأية كسين وعشتر

(٧) أنظر له (الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة) .

وتـرجع لمنتصف القـرن الأول قبل الميـلاد . كـما أن من النقـوش الحمـيرية بشرق السـودان ما ذكـره ليتـمان وجـرين[٨] ومن الآثـار الحميرية بشرق السودان تلك التي بمنطقة حلايب .

ومن النقـوش التي يجدر التـوقف لديهـا نقش الملك الحبشي عيـزانا (بقـوة إله السـماء المنتصر في السـماء وفـوق الأرض وعـلى الجميع . . أنا عيزانا بن الامايدا من قبيلة هالن ملك أكسوم وحمير وريدان وسابا وسالهن ـ مأرب ـ وسيامو ـ تهامـة ـ والبجة وكـاسبو وملك الملوك الذي لن يهزمه العدو) وقـد كتب النقش عند غـزو عيزانا لدولة النوبة في مـروى حوالى ٣٢٥م ويشـير الدكتـور زاهر رياض إلى أن كتابته كانت بالحبشية والسبأية والأغريقية . وإذا كان نقش عيزانا مثلاً يشير إلى أن المناطق اليمنية والسودانية قد وقعت تحت حكم حبشي واحد لفترة من الزمان فإن المصادر تشير أيضاً بأن التأثير والتأثر ظل قائماً بين المنطقتين دائماً فالنفوذ الروماني مثلاً أصيب بهزة عندما سمع سكان إقليم جنوب الشلال الأول بخيبة الرومان في اليمن .

ويشير كيت في موسوعته إلى أن الزبالعة جماعة حميرية جاءت من زمن بعيد لتسكن بين النيل الأزرق والرهد والدندر بالقرب من سنار، وقبيلة الزبالعة أو جماعة أبو جريد نسبة لأبي جريد آدم بن عبد الله ـ أنظر هليلسـون ـ في حلة بترقـا شرق النيل الأزرق بـين كركوج والرصيرص ، ولم تتأثر الجماعة بالثقافات اليونانية والمسيحية

(٨) يوسف فضل حسن ، العرب والسودان من القرن السابع حتى مطلع القرن السادس عشر الميـلادي ، بالانكليـزية طبعـة ثالثـة دار النشر بجـامعة الخرطوم ١٩٧٣م .

والإسلامية والفونجية وحافظت على عاداتها المعنية والسبأية وإن كان الإسلام ظاهرهم .

ويشير الأديب اليمني عبده علي عثمان في ترجمته لمقال « الاخدام في اليمن أصولهم وعاداتهم » لذي أرنود واي فاسير[٩] إلى أن الحميرية قد أثرت في الجعز أو لغة الأحباش المسيحيين المقدسة وفي سمات لهجة سكان سامهار أو الساحل الأثيوبي المحاذي للبحر الأحمر . ويذكر المقريزي والنويري أن المسلمين الخاسا الذين يعيشون بالقرب من سواكن وفي خور بركة وحول طوكر يتكلمون لغة التقري المشتقة من الجعز . وتتحدث التقري المناطق الجنوبية للبني عامر أي وادي بركة ورافده عينسبا وكذلك هو الحال في المناطق الشرقية للبني عامر وما زالت لغة الجعز السامية لغة الكنيسة والطقوس الدينية المقدسة للكنيسة القبطية وللفلاشا من اليهود أيضاً . وعند اعتناق أكسوم للمسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي استعملت ألف باء الجعز في الإنجيل الأثيوبي وكثير من المخطوطات الكنسية الأثيوبية وفي الأدب الكلاسيكي أيضاً . والواقع أن الأحباش طوروا الجعز بعد قيام أكسوم حوالى ٥٠٠ سنة قبل الميلاد واستعملوا فيها ألف باء جديدة مبنية على الكتابة السبأية القديمة ، والجعز لغة قبائل الأجعازيان السبأية والتي وضع بليني منازلها مقربة من عدن[١٠] وهاجروا منها إلى الحبشة وأقاموا مملكة

---

(٩) مجلة دراسات يمنية ، العدد الأول مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء .

(١٠) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين بيروت طبعة ثانية ١٩٧٨م .

هناك وهم أقدم هجرة يمنية للحبشة حيث استقروا في شمالها الشرقي وكانوا أقوياء في التجارة وعلى رأس السلطة الحاكمة . وإذا كانت لغة الجعز قد أصبحت متميزة بصور حروفها وطريقة كتابتها في القرن الميلادي الرابع فإنها ظلت لغة الحديث والكتابة في الثمانية القرون الأولى من تاريخ الحبشة وحتى القرن الثالث عشر الميلادي . وتذكر الروايات أن من اليمنيين من ظل قادراً على الترجمة من العربية إلى الجعزية . ومن النقوش نقش الاحتفال بانتهاء ترميم سد مأرب والذي يشير فيه أبرهة الحبشي إلى أنه قام بهذا العمل ممثلا عن ملك المتكلمين بالجعزية .

علاقات ما بعد الإسلام :

وقد أسهم اليمنيون إسهاماً فعالاً في الحملات العسكرية التي قام بها المسلمون على أرض النوبة شمال السودان والتي كان أولها حملة نافع بن عبد القيس الفهري ثم حملات عبد الله بن أبي السرح ومن تلك القبائل المشاركة لخم - أنظر ابن عبد الحكم - ويقال إن اليمنيين أخذوا من النوبة مهارة الرمي بالنبال ومن المعروف أن هذه الحملات قد أدت في النهاية إلى معاهدة « البقط » التي سربت الوجود العربي الإسلامي إلى أرض النوبة مما أدى إلى تصاهر المجموعتين وانتقال الملك إلى أيدي المسلمين بعد فترة من الزمان إذ يشير ابن خلدون إلى عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت ويذكر البلاذري أن شيخاً حميرياً - عبر ستة من الرواة - شهد غزوتين على بلاد النوبة في ولاية عمرو بن العاص ، كما أسهمت اليمن بآلاف المقاتلين في الحملة الإسلامية على علي بابا زعيم البجة . وعند منتصف القرن

الثامن الهجري اعتنق غالبية النوبة الإسلام . وإذا كان الإسلام قد أعطى دعماً روحياً وسنداً سياسياً للهجرة العربية إلى السودان فإننا لا يمكن أن نغفل دور الهجرة الفردية بحثاً عن المراعي والمعادن الثمينة من ذهب وزمرد أو هرباً من العدالة أو طغيان الولاة أو نشراً للطرق الصوفية . وقد مر دخول العرب للسودان بمرحلة إعدادية فمرحلة ناشطة فمرحلة تمثل وامتزاج .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن المجموعة الجهنية نسبة لجهينة توازي المجموعة القحطانية في التركيبة القبلية السودانية[11] لكن مما يعقد الأمر وجود أسماء عدنانية كثيرة في الشجرة الجهنية السودانية ويقابل ذلك وجود أسماء قحطانية عديدة في نسبة الجعليين وهم الموازي العدناني في السودان . والنسب العام لجهينة في السودان هو لعبد الله الجهني القضاعي الصحابي . وقد صبت أنهار جهينة البشرية في السودان من جهات ثلاث ، فقد جاؤوا عبر القلزم كما يذكر ابن خلدون في آخر القرن الثامن الهجري من مواطنهم ما بين ينبع ويثرب حتى عقبة أيلا فانتشرت أفواجهم وأفواج فرعهم بنو عرك بين النوبة والحبشة واستقروا بشرق

(١١) المهم هنا هو أن قضاعة التي تنتمي إليها جهينة لم يقطع بقحطانيتها ، ومن المثير في هذا المقام أن نشير إلى نظرية العلامة السوداني عبد الله الطيب التي تقول إن الهجرة الاسلامية الأولى شملت أجزاء من السودان ولم تكن هجرة للحبشة فقط ، وهكذا يكون أبو موسى الأشعري ورفاقه أبو برد وأبو رهم وبعض وخمسين رجلاً من قومه قد ركبوا السفينة من اليمن مهاجرين حينما سمعوا بخروج النبي (ﷺ) فاجتمعوا بجعفر بن أبي طالب ومن معه من الصحابة .

السودان حيث اشتغلوا بالمعدن ، وهم قد جاؤوا كما يرى ماكمايكل في القرن الرابع عشر الميلادي ولكنه يتعثر في توضيح طريق دخولهم وتشير وثائقه إلى الطريق الليبي ـ طريق الأربعين غربي الدلتا ـ معتمداً على رواية ابن خلدون حول تدفق جهينة لبلاد النوبة ثم نزوحهم عنها جنوباً تتبعاً للأمطار وإن كان يقول في الآن ذاته بمجيئهم عبر القلزم إلى شرق السودان فغربه . ويذكر المقريزي مجيء جهينة قبل ذلك للسودان عبر مصر كجزء من الحملات العسكرية الإسلامية في ٦٤٦م . إلا أننا يجب أن نشير إلى المصاهرات العديدة التي تمت على أرض السودان بين الجعليين والجهنيين وهكذا نفسر في سياق الحوادث التاريخية أن القرن الثامن الهجري شهد قتالاً يمنياً يمنياً حينما اصطدم الأحدب محمد بن واصل العركي بالمماليك وحلف بني هلال الذي كان يضم قحطانيين كقبيلة المعقل .

ومن مجموعات جهينة السودانية مجموعة المهيرية بكردفان نسبة لبلاد المهرة بجنوب اليمن ومجموعة الغريسية من الحمر الذين يذكر ماكمايكل ويوسف فضل حسن هجرتهم إلى التاكا بشرق السودان فكردفان بغربه في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي . أما المؤرخ اليمني الراحل محمد عبد القادر بامطرف[١٢] فيذكر آل حمد وهم فخذ من الرزيقات بدارفور والانقريات من العابداب بالحلفاية

(١٢) محمد عبد القادر بامطرف ، الجامع . . جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم ، دار الهمداني عدن طبعة ثانية . ١٩٨٤م .

والتعايشة في دارفور والحلاويين بالجزيرة والنيل الأزرق والأبيض ورفاعة على النيل الأزرق والضبانية بالبطانة ، كما يشير إلى قحطانية طي من قبائل الجزيرة وجذام ببلاد البربر وبهراء من بلي في كسلا والجوابرة من جابر عبد الله رئاب الأنصاري في دنقلة ، ويشير يوسف فضل حسن إلى مجموعة جهنية أخرى هي الحمران الذين دخلوا شرق السودان من الحبشة على أثر خلافهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي ، ويسمي الاسكتلندي بروس (١٧٦٩ - ١٧٧٢ م) الحمران بالعقاقير نسبة لأحمد العقور اليمني. وللحمران إسهام كبير في الأدب السوداني عبر قصة تاجوج والمحلق . وهناك من ينسبهم إلى بني عذرة الذين سكنوا شمال تهامة اليمن على البحر الأحمر .

ويقول القلقشندي إن نسابة الهوارة أو الهواوير يقولون بأنهم يمنيون قضاعيون هاجروا إلى شمال كردفان في القرون الخمسة الأخيرة من بلاد المغرب ومنهم التجار الجلابة في شمال دارفور . ومن بطون كهلان ابن سبأ بن يشجب أخ حضرموت التي بغرب السودان حذام كما أن من بطونه مذحج ومنهم سعد العشيرة التي أقامت بمريس في القرن الثالث للهجرة . وقد عاش عرب قحطان الذين كانوا بأسوان شمال باجراش واشتروا أراض نوبية خلال حكم بني أمية وبني العباس . أما الكواهلة الذين يعودون في نسبهم إلى كاهل بن أسد بن خزيمة وملكهم حجر اب الشاعر امرىء القيس فيذكر ماكمايكل أنهم دخلوا السودان عبر القلزم فشرقه ليستقروا بغرب السودان حيث وجدوا فيه طقساً يوفر لهم لذة الترحال ووضعاً أفضل للعرب من مصر منذ العهد الطولوني . وقد امتهن الكواهِلة التجارة والتعدين وإليهم ينسب الحسانية والحسينات ويذكر ابن بطوطة لقاءه

بالكواهلة ويعرب كنانة ودغيم وجهينة في بلاد البجة حوالى سنة ١٤٠٠م . وقد عاش عرب كنانة حول ميناء جلي - ابن يعقوب - بشمال اليمن وارتبطوا بقوة بسواكن وربما عبروا القلزم - راجع ماكمايكل وابن خلدون وابن بطوطة - وممن ينتسب للكواهلة أيضاً البشاريون وأصهارهم العبابدة .

أما الأرتيقة ففرع من آل أبي قشير يسكنون بأسفل حضرموت من ذرية محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هاجرت ذريته من حضرموت على سفينة مشحونة بالبضائع واشتغلوا بالتجارة بين ضفتي القلزم وعبر سواكن ثم صاهروا البلويب كما ساعدوا في ما بعد في حروب المهدية ويشير محمد صالح ضرار[١٣] أن لهم فروعا تجارية بحرية في الحديدة وأن أحد زعمائهم وهو باصفار علوي حضرمي أتى لسواكن في القرن الرابع عشر الميلادي وتزوج بجارية .

ويشير السائح اللوزاني جون لويس بوركهارت بعد رحلته في بلاد النوبة والسودان إلى أن الأرتيقة من حضرموت حضروا لسواكن للعمل بالتجارة واندمجوا في البجة تحت نظارة الهدندوه والبني عامر ويعملون الآن في الرعي وقد شاركوا عثمان دقنة في حروب المهدية وجاورتهم كلب من قضاعة في أرض المعدن . ويشير د. عطية القوصي إلى خروج الحضارمة سنة ٧٥ للهجرة خلال ولاية الحجاج للعراق واستقرارهم في إقليم عتباي وعند سواكن بشرق السودان[١٤] .

---

(١٣) محمد صالح ضرار ، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، الدار السودانية للكتب طبعة أولى ١٩٨١م .

(١٤) عطية القوصي ، استقرار عرب حضرموت في صحراء مصر الشرقية منذ

انتقال الفقهاء والمتصوفة بين المنطقتين

وينبغي التوقف عند علم كبير من اليمنيين الذين نشروا علوم الإسلام في السودان وهو غلام الله بن عائد اليمني الذي قدم من الحليلة باليمن ـ لعلها اللحية ؟[١٥] مع والده إلى جزيرة في القلزم في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ثم حضر مع والده إلى سواكن حيث توفي والده فاتجه هو بمحاذاة شريط النيل إلى دنقلا وبربر في النصف الثاني من القرن محفظاً ومعلماً للقرآن في الخلوة واستقر في دنقلة العجوز وبها بيته وهي وطن الركابية أبنائه وسط بلاد المحس . والركابية هم الذين نشروا الإسلام في جبال النوبة وكردفان وهم أشراف حسنية امتزجوا بالجهنيين . وقد قرر غلام الله السكن بدنقلة لأنها كانت في حيرة شديدة وضلال لعدم وجود علماء القرآن بها فعمر المساجد هناك وعلم العلوم مباشرة لأولاده وتلامذته وأولاد المسلمين عامة وتزوج بدنقلاوية ـ أنظر النور عنقرة وماكمايكل ـ وأحفاده هم أبناء ركاب ورباط ومن نسب الركابية أيضاً الأخوان إبراهيم بن جابر ـ البولاد ـ وعبد الرحمن بن جابر ويقول مصدر آخر إن غلام الله حضر من جزيرة نواوة باليمن وسكن جزيرة ساكية بالقلزم .

ومن الحضارمة الذين نشروا الإسلام في السودان جار النبي وجباره وحمد ولد زروق وهو أستاذ الشيخ إدريس ود الأرباب . كما

القرن الأول الهجري، مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي، العدد ٢٥ الكويت.

(١٥) محمد النور بن ضيف الله ، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق : يوسف فضل حسن ، دار التأليف والترجمة والنشر بجامعة الخرطوم طبعة ثانية ١٩٧٤م .

أن منهم نور الدين اليمني شيخ علم المنطق لعبد اللطيف بن الخطيب بن عمار وكان شاعراً أيضاً . وقد سكن جار النبي وحمد ولد زروق الصبابي وهو حي في الخرطوم بحري . كما دفع الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي تلميذه محمد الهميم للسكن بالنادرة سلوكة ودلوكة(١٦) التي هي سوق أهل اليمن والحجاز لمدة سبع سنوات يعتزل فيها الناس حتى ينال الدين والدنيا . كما يشير ود ضيف الله أن أول من أدخل شرب البن للسودان كان العالم شاذلي الذي جاء من اليمن .

ويذكر يوسف فضل حسن أن طوكر وسواكن اتخذت المذهب الشافعي نتيجة للصلات التجارية مع اليمن والحجاز ومصوع والجامع الشافعي بسواكن مشائخه يمنيون عمريون حسناب من ذرية عجيل وقد ناصروا المهدية . وعبر نفس الطريق دخلت الطريقة الأخيضرية الشاذلية لسواكن وشرق السودان ، وبسواكن قبة الشيخ محيي الدين شاذلي المخا من ذرية الحسن علي بن عفر الأموي اليمني القرشي والذي ذكره الشيخ إبراهيم عبد الدافع في استغاثته المسماة « كاشفة الكروب » . وينتسب الحسناب في السودان إلى الشيخ إبراهيم بن إسماعيل ابن الشيخ العابد أحمد بن عجيل اليمني صاحب الكرامات التي رواها عنه ابن بطوطة وقبره بتهامة ، وقد هاجر إبراهيم إلى سواكن حوالى سنة ١٢٠٨م واشتغل بالتجارة وقد صاهر الحسناب حضارمة الأرتيقة وأسهموا في المهدية عبر الخضر بن علي الحسنابي . وتذكر المصادر أن

---

(١٦) سلوكة: أداة زراعة مطرية أو جرف كناية عن خصوبة الأرض وسهولة الزراعة ووفرة العطاء . دلوكة : طبلة للرقص كناية عن ترف القوم .

أهل سواكن كانوا يحضرون لليمن للدراسة في زبيد والمخا كما تذكر أن المجاذيب وهم قسم من الجعليين نشروا علوم الدين في السودان وقد درس بعضهم في معاهد العلم الديني في زبيد وبيت الفقيه حيث عرف لهم رواق السنارية نسبة لسنار[١٧] .

الصلات التجارية

ومن المثير في إحدى الروايات عن البطل اليمني سيف بن ذي يزن ما أوردته الأديبة اليمنية ثريا منقوش[١٨] من أن الحرب الضروس التي خاضها سيف كانت جزئياً حرصاً شديداً على نهر النيل واستمرار تدفقه من الحبشة إلى السودان ومصر . ولكن من المثير أيضاً أن جماعتي الكانم والبرنو في تشاد غرب السودان يدعون النسبة إلى سيف بن ذي يزن ويقول بذلك ابن فضل الله العمري والمقريزي وابن بطوطة والمسعودي وريتشموند بالمر أما باقي المصادر الغربية فتنسب سيف إلى قبيلة كايد المعروفة بالزغاوة . ومن كتابات محجوب زيادة ود. عبد المجيد عابدين[١٩] وغيرهما يتضح لنا أن الكانمية ـ نسبة للكانم ـ أو الكارمية كان لهم نشاط تجاري كبير بين مصر والهند مروراً بعيذاب وسواكن وموانىء اليمن حيث تجارة التوابل والفلفل والأقمشة والعاج والرقيق بين الهند واليمن والحبشة

---

(١٧) الطيب محمد الطيب ، صحيفة الأيام، الخرطوم تاريخ ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥ .

(١٨) أنظر لها (سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة والأمل) .

(١٩) أنظر (دخول الاسلام في السودان) لمحجوب زيادة ، و (أثر الإسلام في نشاط الكانم في أفريقيا خلال ثلاثة قرون (١١٠٠ـ ١٤٠٠م) لعبد المجيد عابدين.

وأفـريقيا الـوسطى ومصر والمغـرب . ويذكـر ابن سعيد أن تجـار الكارمية فضلوا ميناء سواكن على اليمن والحجاز في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي لأنها آمنة وسهلة المرسى ولكنهم ظلوا يتزودون بالماء والزاد في اليمن بطريقهم من شرق آسيا[٢٠] .

ويهمنا هنا أن نذكر اهتمام الكانم بتشجيع العلماء وبتسريب التأثير الإسلامي إلى دارفور والنـوبة والسـودان الأوسط قبل زوال مملكة دنقلة المسيحية في ١٣٦٦م ، وقد قاوم الكـارمية الصليبيـين وازدهرت تجارتهم في نقل البهار من عدن لعيذاب في عهد صلاح الدين الأيوبي ولكنهم قاسوا كثيراً من مضايقة سيف أرعد بن عمد أصيون (١٢٤٤ ـ ١٣٧٢م) ملك الحبشة لهم .

ويشير المؤرخ اليمني عبد الله محمد الحبشي[٢١] إلى وثيقة هامة في مقام الحديث عن الكانم فيقـول : « التكرور من بلاد السودان وقد كتب حاكمها رسالة إلى المتوكل إسماعيل ، يقول الجرموزي في وصف رسالته وفيها تكلف بالعربية وليسوا منها في شيء ويشبه خطها الكوفي ، يقول في الرسالة : من الأمير الزاهد مبتغي رضوان الله في كل وقت وحين الحاج علي ابن الملك الحاج عمر كان الله ولياً إلى محبنا على البعد والقرب السلطان صاحب اليمن عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، فها تعرف أن جدنا واحد هو الملك سيف بن ذي يزن وتبع الحميري فلذلك أرسلت إليك » .

---

(٢٠) إبراهيم علي طرخان ، الدول الاسلامية القديمة في السودان الأوسط .
(٢١) أنظر له (الأدب اليمني) .

وقد رد عليه الإمام المتوكل إسماعيل برسالة وكان ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة ، وأخيراً نشير إلى أن مدونات تمبكتو (١٦٥٧ - ١٦٦٩م) نقلت عن العلماء قولهم إن إدريس وثلاثة من جند عمر بن عبد العزيز هاجروا من اليمن إلى البرنو فأقام بها إدريس مملكة الكانم .

وقد تمتعت سلطنة الفونج الزرقاء والتي أقامت عاصمتها في سنار في القرن السادس عشر الميلادي بعلاقات تجارية وطيدة مع اليمن حيث كانت تستورد السيوف والدروع منها ، إلا أن هذا لا يمنع ما ذكره لنا كاتب الشونة[٢٢] من أن حسين شقيق الملك بادي السادس ابن طبل قتل مجموعة من الحضارمة وعلى رأسهم ناصر ولد محمود في ١٧٩٧/٦م فقيل « ذبحة حضرمية » . ولعل اهتمام الفونج بالعلماء والمتصوفة هو الذي نقل إلى السودان مدائح نبوية للشاعر اليمني عبد الرحيم البرعي وقد مر بنا الحديث عن رواق السنارية بزبيد . وقد قام يهودي يمني هو داود روبيني والذي ادعى الإسلام والنسب الشريف في العام ١٥٢٢/١٥٢٣م بمقابلة ملك الفونج عمارة دونقس في طريقه لأوربا لمقابلة البابا وبتكليف من أخيه الملك يوسف زعيم قبائل جاد وروبين كما رافق شقيق أبو كامل إلى أبي عقرب سلطان الجعليين ومات أخيراً سجيناً في أسبانيا سنة ١٥٣٥م .

وإذا أشرنا إلى الأواصر التجارية بين موانىء اليمن والسودان

---

(٢٢) أحمد ابن الحاج أبو علي ، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل، القاهرة.

وقفنا على الكثير من اشتات المعلومات فناصر خسرو صاحب سفرنامة يقول إن عيذاب فرضة أهل اليمن وإليها كان الفلفل يمر من الهند عبر اليمن . وابن جبير يشير إلى وشائج التجارة بالجلاب بين اليمن وعيذاب ويقول إن المرفهين من المسافرين في صحراء عيذاب كـانـوا يستعملون أشبـاه المحـامـل اليمـانيـة على إبلهم .

وقـد كـان أهـل عـيـذاب يسـتـعـملون دسـر من عـيـدان النخل في صناعتهم للجلاب وأجوده وأرخصه من اللحية وسيدي وقبة عباس بالشط اليمني ، وقد كانت هناك تجارة بين جزيرة ابن عباس أو بهدور وعدن وغيرها في اليمن كما كانت العقيق أربعين ميلاً جنوب شرق طوكر تستقبل البضائع والرقيق من اليمن وكان الأتراك من الولاة المسلمين يتعاطفون مع المهدية فكانت بعض الأسلحة تهرب لعثمان دقنة من العقيق وطوكر قادمة من الحديدة ، ويلاحظ وجود موانىء يمنية باسم العقيق وقبة عباس . ويذكر ياقوت أن عيذاب بليدة، على طريق المراكب من عدن للصعيد ويشير أبو الفداء في جغرافيته إلى تجارة اليمن المزدهرة بعيذاب وكان البلح يصدر من سواكن لليمن وشملت حركة التبادل التجاري الذهب واللبان والصمغ والعاج والعطور ويشير اليعقوبي إلى ضرائب الفاطميين على بضائع اليمن بعيذاب وإلى التجار اليمنيين الذين يشترون الذهب منها . وقد كانت مواد بناء السفن تجلب من اليمن والهند وبضائع الصين والهند تنزل بعدن ثم تنقلها السواعي إلى عيذاب فمصر العليا إذ إن سفن المحيط غير صالحة للقلوم . ويذكر الهمداني بادي وسواكن من بين الموانىء السودانية ويقول عن سواكن إنها بالحبشة الوسطى ويكثر بها الغرب لقربها من الذهب . وتذكر المصادر أن

تجارة الخيول كانت رائجة بين اليمن والسودان فقد كان الخيل يشترى بـ٢٥ ريالاً في شندي ويشتريه شريف اليمن بمئة إلى ١٥٠ ريالاً بالحديدة وإن كان كثير منها ينفق عبر الرحلة في القلزم . وتذهب سفن سودانية بالرقيق القادم من رحلة من شندي إلى موانىء المخا والحديدة واللحية قادمة من سواكن وكثيراً ما كان ربان السفينة من اليمنيين . بينما يقيم سواكنيون في بلاد اليمن كوكلاء لمواطنيهم هناك . ويقول ضرار إن الربان الينبعي الحميد بن منصور والذي كان يقود السفن بين سواكن وغيرها من الموانىء ظل قادراً بعد أن كف بصره على تمييز عجينة طين بحري ممزوج من المخاء وماء سقطرى ؟ وقد ازدهرت عيذاب منذ أوائل القرن الرابع الهجري ويرجع ذلك لتشجيع الزيود في اليمن للتجار الهنود والصينيين على القدوم إلى عدن ومنها كانت الجلاب تنقل بضائعهم إلى عيذاب. أما السفر من سواكن إلى عدن فله موسمان من السنة النيروزية كما يقول حسن صالح شهاب في دراسته «طرق الملاحة التقليدية في البحر الأحمر» ويذكر ابن بطوطة أنه التقى بعرب جهينة في سفره من سواكن لليمن كما رافق جماعة يمنية من جدة فاضطر للنزول برأس دواير شمال سواكن نتيجة لسوء حالة البحر وقد كان السمبوك ملكاً لرشيد الدين الألفي اليمني . ويشير يوسف فضل حسن إلى إثنين ممن كانوا يتاجرون بين سواكن واليمن هما عوض بن موسى المكي ١٤٤٢م وعبد اللطيف المكي ١٤٣٣م وفي عام ١٤٢٢م فضل التاجر الهندي إبراهيم أن يحول التجارة من عدن لسواكن حيث كانت عدن ترزح تحت الضرائب الجائرة وسوء معاملة الرسوليين. فصراع رسولي اليمن وبني عجلان أشراف مكة حول قافلة يمنية للحج جعل تجار الهند

يهبطون سواكن بدلاً من جدة . ويقول بورخهارت أن أهل سواكن هم أسلاف الأسر الكبيرة من أهل حضرموت وكان جلهم من مدينة شاهر ـ لعلها الشحر ـ وهي ثغر حضرموت على المحيط الهندي وهم نفسهم الحداربة . كما يشير إلى وجود وادي عسير بشرق السودان ويقول إنه فكر بالذهاب للمخا من سواكن ثم لصنعاء فرحلة الحج . وأشار إلى أن تجار سواكن الحداربة يؤمون شندي وسنار وعطبرة والأبيض وينافسون تجار مصر ويتجرون أيضا بالعقود اليمانية وإن كانت لا تصنع في اليمن . كما أن الحداربة يبيعون الصمغ العربي للتجار الانكليز والأمريكان في اليمن . وفي شندي تبتاع قافلة سواكنية جياداً دنقلاوية لتباع بثمن مجز بالحديدة واللحية والمخا وفرسان الشريف حمود أمير اليمن يمتطون جياداً أكثرها دنقلاوية . كما يذكر أن نول الخيل بالسمبوك يبلغ عشرة ريالات أسبانية . ويتجر أهالي سواكن بالتبغ عبر القوافل من سنار لليمن . ويقول بورخهارت إن كلمة الأرتيقة بشارية تعني الأشراف كما يشير إلى وجود مرتزقة يمنيين كجنود لدى الآغا التركي حينئذ بسواكن . ولاحظ أن الدخن يزرع بدارفور وسنار وساحل القلزم من جدة حتى اليمن ويقال إن أولاك الأرتيقي أدخل زراعته بعد الذرة في طوكر من سنبوك يمني . كما كان السواكنيون يصدرون قرب الماء لليمن ويشترون الجلود لحمل الزاد أثناء السفر من أهل سنار ويبيعونها لأهل اليمن وكذلك يصدرون الدوم والذرة والحصر والقرب للحديدة ، ويشير بوركهارت إلى البضائع اليمنية التي تذهب من سواكن إلى سنار ودارفور حيث تعود القوافل من هناك بالذهب والرقيق وريش النعام والعاج والخيول . ويقول إن أهل بربر ينافسون السواكنيين

بالهمة والأمانة - حوالى ١٩٠٧م - وتورد الخيول وكذلك الريش والعاج والذهب والرقيق وتقام الأسواق في المخا والحديدة واللحية . كما كان أهل سواكن يحمون تجار اليمن لديهم طالما هم في أراضيهم وقد تضاءلت أهمية طريق عيذاب قوص بعد ٧٦٠هـ . ومما يذكر أن رحلة ابن بطوطة من سواكن إلى ميناء حلي باليمن حيث التقى بعرب كنانة وعراك دامت ستة أيام عبر القلزم . ويشير عمارة اليمني[٢٣] إلى أن ابن نجيب الدولة أرسلته الملكة اليمنية أروى إلى الآمر بأحكام الله في مصر عام ١١١٥م على متن جلبة سواكنية . وقد هدد تجارة اليمن بعيذاب هجوم شمامون النوبي عليها سنة ١٢٧٢م . وفي سنة ١١٨٢م كان الصليبيون قد استولوا على عيذاب بقيادة صاحب مدينة الكرك البرنس رينولت أرناطيدي شاتيلون - أنظر أبو شمعة . . - وكانت عيذاب ميناء بضائع اليمن القادمة بمراكبها لقوص والقاهرة وقد استولى الصليبيون على مركبين محملين بالتجار من اليمن . وأراد صلاح الدين الأيوبي بتوجيهه الملك العادل وشمس الدولة تـوران شاه إلى جماعة الكنوز بشمال السودان السيطـرة على تجارة عيذاب واليمن والشرق الأقصى ، وقد كان في بلاط الكنوز الفاطميين أحمد بن علي الرشيد الأسواني القرشي أحد دعاة الفاطميين الذي أرسله الخليفة الحافظ داعية إلى اليمن ويذكر محمد بن عيسى اليمني المشهور في علم الهندسة أن الأسواني صاحب « أمنية الألمعي وبغية المدعي » كان أستاذه[٢٤] . وفي عام ٧١٧/٧١٦هـ أعاد السلطان

---

(٢٣) أنظر (تاريخ اليمن) لنجم الدين عمـارة الحكمي اليمني ، تحقيق : د. حسن سليمان محمود مكتبة مصر .

(٢٤) لعمارة اليمني مخطوطة ضمن مقامات الوهراني بمكتبة آيا صوفيا يتحدث

المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سواكن للحداربة انتقاماً من استيلاء بني هلبة والارتيقة في شخص الشريف علم الدين على هدايا ملك اليمن إليه والتي حملها تجار منهم بدر الدين حسن ابن أبي النجا والطواشي جمال الدين فيروزة في ثلاث سفن محملة ـ أنظر النويري . . ـ وقد أسهم الجند السودانيون ضمن الجيش المملوكي الذي اكتسح اليمن واحتل أسطولهم سواكن عام ٩١١هـ قبل احتلاله اليمن ـ أنظر ابن أياس . . بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ .

ويذكر عمارة اليمني أن ابن زياد كان من ضرائبه على صاحب مدينة دهلك سنة ٣٦٦هـ مئات من العبيد والوصائف النوبيين وظل هذا هو الحال حتى في عصور متقدمة فقد كان الشريف حمود في عسير يشتري الرقيق السوداني في القرن السابع عشر الميلادي . ويذكر الشاطري(٢٥) وصول عبد نوبي إلى دفة الحكم في اليمن هو الحسين ابن سلامة ـ وهي أمة ـ مولى الزياديين والذي تمتع بالحكم من ٣٧٢هـ حتى وفاته في ٤٠٢هـ وقد كان حازماً عفيفاً حارب أهل الجبال حتى دانوا ومنهم ابن طرف والحرامي فتوسعت مملكته . . مملكة بني زياد واختط مدينة الكدراء على وادي سهام ومدينة المعفر على وادي زوال وكان عادلاً بين الرعايا كثير الصدقات والصلات في الله تعالى مقتدياً بسيرة عمر بن عبد العزيز وأنشأ الجوامع الكبار والمنارات الطوال من خضرموت إلى مكة وطول المسافة التي بنى فيها ٦٠ يوماً وحفر الآبار المروية والقلب العادية في المقافر المنقطعة وبنى

فيها عن مآثر بني الكنز ، وانظر لعطية القوصي ، تـاريخ دولـة الكنوز الاسلامية طبعة قانية ١٩٨١م دار المعارف بمصر .

(٢٥) أنظر (أدوار التاريخ الحضرمي) لمحمد أحمد عمر الشاطري .

الأميال والفراسخ والبرد على الطريق فأوله شبام وتريم بحضرموت اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج والمسافة عشرين مرحلة في كل مرحلة جامع ومئذنة وبئر فأما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز وقد جدده ابن سلامة ثم تتفرق الطرق من عدن لمكة فطريق يصعد في الجبال وطريق يسلك تهامة فأما طريق الجبال ففيه جامع الجوة وهو كبير أدركه عمارة اليمني عامراً ورأى فيها جامع الجند وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبل الصحابي الذي بعثه رسول الله محمد (ﷺ) للجند - أنظر ياقوت . . . - ومن أهم جوامع ابن سلامة المسجد الكبير بزبيد وابن سلامة هو أول من أدار سوراً حول زبيد وبنى جوامع تريم وشبام . وقد كان له أخ اسمه سعيد ولاه على عدن[٢٦] .

مسار العلاقات حتى العصر الحديث

وقد وجدنا المتنبي يمدح كافور الأخشيدي في ٩٦٦/٩٦٨م فيقول :

يصرف الأمر من مصر إلى عدن إلى الحجاز فأرض الزنج فالنوب .

وهو واقع صحيح للأصرة بين السودان واليمن فقد خضعت المنطقتان في كثير من المراحل التاريخية لنفوذ سياسي مشترك .

وإذا تابعنا سير الحوادث التاريخية وجدنا المؤرخ اليمني عبد الله محمد الحبشي يشير إلى وصول هدية نفيسة من صاحب سواكن فيها

---

(٢٦) انظر (تاريخ وصاب) لوجيه الدين الجيشي الوصابي .

أفيال وبخار وتحف وذلك في رجب عام ٧٩١هـ وقد جاء ذلك في تحقيقه لكتاب (تاريخ الدولة الرسولية في اليمن) لمؤلف مجهول . أما الخزرجي فيقول في كتاب (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) إنه في عام ٧٥١ هـ وصل رسول السلطان بابتداءات شريفة من سواكن فضربوا لأجله الطبلخانة ثلاثة أيام . وفي نفس السنة توفي الفقيه الحنفي أبو الحسن علي بن نوح الأبوي حفيد أبي بن كعب الأنصاري الصحابي بزبيد وأصل بلاده السودان . وفي سنة ٨٠٢هـ يخبره الفقيه علي بن محمد الناشري عن بعض المسافرين في البحر أن زلزالاً وقع في السودان .

ويستولي أسطول سنان باشا التركي على سواكن وزبيد والمخا والحديدة بعد هزيمته للبرتغال سنة ٩٣٧هـ ويتصل أمير سواكن بالباشا التركي في زبيد لمقاومة البرتغال سنة ١٥١٦م وحلفائهم من الأحباش . ويسهم الحضارمة واليمنيون بدورهم في تعمير سواكن خلال القرن الخامس عشر للميلاد ـ أنظر دولة البحار . . ـ، وقد وضع المؤرخ عرب فقيه كتابه في أحمد محمد جراني أحد ملوك الطراز والذي غزا الحبشة من الجنوب إلى الشمال حتى اتصل بجيش سلطان مزجة أو مسيحيا سنة ١٥٣٤م وهي مقاطعة تسكنها قبائل التقري بين الحبشة وسنار وتقع في شمال تكازة وغربي سيراي وفي جيشها خمسة عشر ألف نوبي مسلم ، وقد كان الباشا التركي في زبيد يآزر جراني بالأسلحة والمدافع .

ويذكر حسن بن أحمد الحيمي في كتابه (سيرة الحبشة) وهي

رحلتـه التي قام بهـا عام ١٠٥٧هـ إلى أرض الحبشـة مـراسـلات واتصالات بينه وبين إمام اليمن من ناحية وبين محمد باشا التركي صاحب سواكن وموفده الأمير العربي الفاضل عبد الوهاب من ناحية أخـرى . كما وقف الحيمي في رحلتـه على بعض أهـالي سنـار في جوندار .

ويشير يحيى بن الحسين في (غـاية الأمـاني في أخبار القـطر اليماني) فيقول : وفي هـذه المدة من سنـة ١٠٣٧هـ خرج البـاشا عـابدين في الف نفـر من سواكن إلى المخـاء فاستقـر بهـا وبنى دايرها وقصدها عامل حيدر من زبيد فلم يظفر به .

ويـذكر عبـد الله بن علي الـوزيـر في (تـاريـخ اليمن)[٢٧] فيقول : عام ١٠٧٧هـ كان خيوله في قدر ألف عنان على أكـثرها فرسان الروم والمولدين والسودان/عام ١٠٨٣هـ وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخا طريداً من سواكن بعد وصول عمر باشا إليها وكان قد أساء إلى جانب مصطفى باشا نائبها الأول فأخرجه ورام التغلب عليه ولما انتهى للساحل حار فكره والتبس أمره فخرج من البندر ولم يعلم إلى أين استقر/ عام ١٠٨٤هـ وفي هذه الأيام وصل إلى بندر المخا هـارباً محمد بن عـامر الـذي خالف عسـاكر السلطنة بسواحل الحبشة كما مضى في قدر خمسة عشر نفراً من أتباعه

---

(٢٧) عبـد الله بن علي الوزيـر ، تاريـخ اليمن خلال القـرن السابـع عشـر الميـلادي المسمى تـاريـخ طبق الحلوى وصحـاف المن والسلوى ، تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم مـركز الـدراسات والبحـوث اليمني صنعاء الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

فتبعه في البحر غرابان فلما بلغا باب المخا تقهقرا راجعين وكان قد خرج عليه إلى سواكن زيادة عسكر أخذوا جميع خزنته وآلة معسكره وهو الذي طرد مصطفى باشا عن الحبشة/عام ١٠٨٦هـ وصل مكتوب من صاحب سواكن يخبر باستقرار الشريف سعد بحضرة السلطان محمد خان وأن السلطان رماه بقتل حسن باشا فتنصل عن ذلك واثقاً بالدخول في المذهب الحنفي استدراجاً لخاطر السلطان محمد خان فرقت له قلوب الخواص ومهدوا له الفوز فقبله السلطان .

ويتحدث النهزوالي في (البرق اليماني في الفتح العثماني) عن سفر ازدمر باشا بعد استقالته من اليمن إلى سواكن فبراً لمصر .

ومن مصدر يمني آخر : « مرجان كتب سنة . . . على لسان السلطان ـ كان قد توفي ـ عامر بن عبد الوهاب يسترضي السلطان سليم وأرسل الكتاب بإنشاء محمد بن عمر بحرق بصحبة الشيخ الشاذلي والشيخ الفايشي بواسطة شريف الحجاز بركات بن محمد وقد فات الفايشي بالدم ووصل الشاذلي بثواب الهدية إلى سواكن وركب البحر لليمن فخرج عليه جماعة من دهلك فأخذوا الهدية ويقال إن ذلك كان بتهوين من الترك الذين بزبيد .

وقد سقنا هذه المقتطفات لندلل على استمرار الصلات السياسية بين اليمن والسودان وتركزها في العهد العثماني .

ويشير الدكتور أحمد ابراهيم دياب في دراسته (العلاقة بين سواكن وجدة خلال فترة الحكم العثماني) في مجلة « المؤرخ العربي »

الى العديد من الوثائق الهامة في صدد العلاقات اليمنية السودانية وأكثر هذه الوثائق بالانكليزية وموجود في دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

وفي ما بعد نجد أسطول محمد علي باشا يمر على سواكن في ست بواخر في طريقه من السويس لعدن ، كما نلاحظ أن مقتل ابنه اسماعيل باشا في شندي شجع على تمرد أهالي عسير على ممثليه هناك . وقد صارت سواكن قاعدة حربية واستراحة لجرحى الحرب من الأتراك خلال حربهم حتى عام ١٩١١م .

وقد سيرت شركة روبانينو الإيطالية رحلات بحرية بين سواكن والحديدة ، كما أنشأت شركة تلغراف الايمترن خط سلك بحري من سواكن لعدن عام ١٨٧٤م. ويذكر عبد جعفر[٢٨] في دراسته «آرثر رامبو الشاعر الفرنسي المتمرد (ت١٨٩١م)» رحلات هذا الشاعر بين سواكن وعدن والحديدة. كما يشير نعوم شقير في دراسته لجغرافية وتاريخ السودان إلى بعض أعيان التجار الحضارمة في السودان.

ويحدثني المؤرخ السوداني محجوب عمر باشري فيقول: «في غضون الحرب العالمية الأولى حاول البريطانيون أن يمهدوا لضم اليمن إلى الإمبراطورية وإزاحة حكومتها في الدولة العربية الوحيدة التي لم تنشب فيها ثورة؟، وكان لورنس وفيلبي ورونالد استورس يخططون لذلك وقد أقاموا وزارة من السودانيين الذين كانوا يعملون

---

(٢٨) مجلة الفنون ـ عدن .

في الشركات البريطانية في الحجاز وضمت الوزارة السيدة الشنقيطي وعبد العزيز الكابلي والسيد عبد ربه عارف ـ يمني ـ والسيد سعيد باكثير ـ حضرمي ـ والسيد عمر بازرعة وتبين لهؤلاء السودانيين ما كان يرمي إليه البريطانيون ومن ورائهم شريف مكة الحسين فاستقال السودانيون من أعمالهم في هذه الوزارة وطالبوا أن يرجعوا إلى بورتسودان فلحقهم على متن مدمرة بريطانية طاهر بك الأفريقي وفوزي القاوقجي والدكتور عبد الرحمن شهنيدر وشرحوا لهم موقف الثورة العربية وارتباط العرب بالحلفاء ولكنهم رفضوا أن يكونوا مخالب قطط».

وأغيث الناس في اليمن بخروج الدقيق والطعام من السودان وذلك في عام ١٣٢٢هـ أثناء حرب الإمام يحيى والأتراك وتكرر ذلك في سنة ١٣٣٢هـ. ويشير الدكتور فاروق عثمان أباظة[٢٩] إلى اقتراح والتون أثناء الحرب العالمية الأولى أن يدار المثلث الواقع بين هذه الحدود في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية مدنياً بنفس الطريقة التي يدار بها السودان وعرض استخدام الجنود السودانيين لهذه المهمة. كما يذكر جون بولدري[٣٠] العديد من الوثائق في نفس الفترة والتي تحوي مراسلات سياسية بريطانية مع ادارسة عسير سواء في بورتسودان أو عدن.

(٢٩) سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى.

(٣٠) جون بولدري، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ١٩١٤ ـ ١٩١٩م، ترجمة وتقديم د. سيد مصطفى سالم. المطبعة الفنية بالقاهرة.

وقد أسهم اليمنيون في حروب المهدية بشرق السودان والتي قادها الأمير عثمان دقنة عبر سعيد عبد الله باعشر الذي كان سكرتير الأمير وكانت كتابته وخطبه آية في البلاغة والحماسة وذلك من مقتضيات منصبه وكان منزله بجزيرة سواكن . وإن كانت الحركة المهدية لم ترق لبعض اليمنيين وخاصة ما علق بها من سبي النساء وبيع الرجال الذي اتهم بهم المجاهدون البقارة من أصحاب المهدي وخليفته التعايشي كما يقول الأمير اليمني القومندان(٣١) .

ويشير الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه (تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث . الدين ، الاجتماع ، الأدب) إلى وجود مخطوط برقم ١٩٩٤/١٠ بمكتبة جامعة الخرطوم للشاعر اليمني عبد الرحمن بن حسين الجبري الذي أتى إلى السودان ليضع كتاباً حول الإمام محمد أحمد المهدي إيماناً منه بحركته وقد فعل في ١٣٤٤هـ . كما يذكر عابدين في كتابه نفسه وجود قصة فتوح اليمن الكبرى كسيرة دينية وقصة سيف بن ذي يزن ضمن القصص الشعبية بالسودان(٣٢) .

أما الرشايدة أو الزبيدية فهجرة يمنية حديثة للسودان في رأي الدكتور محمد عوض محمد وهم من قبيلة رشيدة وتتضارب المصادر في تحديد زمن هجرتهم والأرجح أنها في القرن التاسع عشر الميلادي

---

(٣١) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي ، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن . دار العودة بيروت طبعة ثانية ١٩٨٠م .

(٣٢) عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان ، دار الثقافة طبعة ثانية ١٩٦٧م المطبعة التجارية بيروت .

وإن كان ماكمايكل يرى أن هجرتهم القديمة هي التي كونت مجموعة البقارة . وقد انتقل الشيخ عبد الله وعبد الله ابنا مبارك زعماء الرشايدة بالأهل والمواشي في أيام محافظ سواكن أحمد باشا ممتاز في ١٨٦٩م وما زال قسم منهم على ساحل جزيرة العرب ولهم صلات جوار بالبجة وهم كالكواهلة ليسوا جهنيين أو جعليين . ويتكلم الرشايدة بين طوكر وبورتسودان بمنطقة القاش من الشرق حتى نهر عطبرة العربية ولغة التقري .

الإدريسية وعودة إلى انتقال الطرق الصوفية

جاء السيد أحمد بن إدريس الفاسي المولود بفاس سنة ١٧٥٨م إلى أرض اليمن في ١٢٤٤هـ وحل في تهامة واتصل بعلمائها ونال منهم القبول والترحيب فتتلمذ على يديه في زبيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل صاحب (النفس اليماني) وقد أرخ له فيه وامتدحه شعراء زبيد ووصاب وتعز وبيت الفقيه ومنهم عبد الكريم بن حسين العتمي وعبد الرحمن بن أحمد البهكلي ومحسن بن عبد الكريم الذي يقول :

شرفت صبياً بكم فغدت مورداً للعلم والنزل
ليت شعري ما الذي فعلت فعلت قدراً على زحل

وقد جمع محمد بن محمد الديلمي قاضي زبيد مدائح الإدريسي وأحواله الشريفة في كراريس ، وكان ابن إدريس قد دخل صبياً واستقر بها في ١٨٢٤م وأسس فيها الطريقة الإدريسية التي وصل تأثيرها إلى البني عامر والبجة بشرق السودان . ومن تلاميذه حسين

أحمد عاكش ومحمد المجذوب الصغير (١٧٩٠ - ١٨٣٢م) حفيد المجذوب الكبير مؤسس حركة المجاذيب في السودان . ومن تلاميذه أيضاً إبراهيم الرشيدي المتوفى في ١٨٧٤م وصاحب الطريقة الرشيدية في السودان والتي أشار أمين الريحاني إلى مشاهدته لها في عدن في العقود الأولى من قرننا العشرين الميلادي خلال رحلته في اليمن . كما أن من تلاميذه محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي المولود سنة ١٧٨٧م بالجزائر . وقد أخذ عنه في صبيا ووصل تأثير السنوسية كطريقة إلى دارفور بغرب السودان وقد كان محمد شريف أميراً على واداي من قبل السنوسيين في ١٨٣٨م . ولم تتفق السنوسية مع الحركة المهدية في السودان وكان من أتباعها محمد مهدي السني بن محمد بن عبد الله السناري من مواليد السودان كما بشر بها محمد المجذوبي السواكني السوداني .وفي عام ١٩٣٢م هرب السنوسيون من احتلال إيطاليا للكفرة بليبيا إلى دنقلة السودانية . هذا وقد أسس السنوسي طريقته في ١٨٣٧م وتوفي في ١٨٥٩م .

كما كان من تلاميذه محمد عثمان الميرغني (١٧٩٣ - ١٨٥٣م) والذي أرسله معلمه للسودان فنشر الدعوة بكردفان والنوبة وسنار في ١٨١٧م ونالت طريقته الميرغنية الختمية نجاحاً في سواكن والبجة والبني عامر ودنقلة والحلانقة والحباب وامتداد البني عامر من طوكر . كما أرسل الميرغني ابنه محمد سر الختم لينشر الطريقة باليمن وحضرموت فتزوج بها وهو والد محمد سر الختم الميرغني المدفون بمصر . أما الميرغني الجد فقد تزوج بامرأة دنقلاوية من السودان وأنجب منها ابنه الشهير الحسن وعاد الى صبيا ملازماً لشيخه الإدريسي حتى وفاته . وممن زار صبيا لاحقاً

المأمون الميرغني شقيق زعيم ختمية السودان وشارك في توقيع معاهدة مكة بين الأدارسة وآل سعود في ١٣٤٥هـ . أما محمد زبارة فيؤرخ لأحد العلماء اليمنيين في كتابه (نزهة النظر) فيقول : « هو داود بن عبد الرحمن بن حجر القديمي الحسيني اليمني الزبيدي تولى القضاء للأتراك في زبيد والحديدة وحجة والتقى بمحمد عثمان الميرغني وهو من كبار العلماء آنذاك فأخذ عنه الطريقة ومن ثم أخذ عنه ولده الحافظ محمد بن داود وقد توفي داود في ١٣١٣ هـ ومدحه علي عبد الله الأرياني :

والسيد العلامة الحبر الذي قد كان في بحر المعارف يشرع
أعني به داود من نجل القديمي بحر علم فاضل متورع
فزبيد تبكيه وتبكي مثله كم من إمام بالفضائل مولع

كما ذكره الحسن بن أحمد عاكش الضمدي وأخذ عنه محمد وحسين وعلي بن عبد الله جابر الأرياني وممن أجاز له محمد بن ناصر الحازمي الضمدي الحسيني :

سلام على داود منح التقوى
وقطب بني الدنيا سنوسي شموسه رويت وعنه كل علم له أهوى

- إشارة إلى محمد بن علي السنوسي الخطابي شيخ المجيز -.

ويذكر أمين الريحاني أنه حينما كان بالحديدة وحدثت وفاة شيخ الطريقة الميرغنية ولها فروع بعدن وعسير شاهد ها هناك في مسجد الشجرة خارج المدينة حلقة ذكر شاركت فيها جميع الطرق بـ ٤٠٠ شخص ولمدة خمس ساعات .

وبعد وفاة ابن إدريس في ١٨٣٧م تولى الطريقة ابنه محمد الذي تزوج بجارية سودانية أنجبت له ابنه علياً وهو والد محمد الثاني . وقد ولد هذا الأخير بصبيا سنة ١٨٧٦م وأقام بأرجو بدنقلة بالسودان وتزوج هناك بمريم ابنة الشيخ هارون الطويل شيخ الطريقة الأحمدية فأنجبت له ابنه علياً الذي ولد بالسودان. وقد تلقى محمد الإدريسي العلم في السودان وسواها وعاد إلى صبيا في مطلع القرن العشرين الميلادي وبدأ نفوذه في ١٣٢٠هـ وقد أقام الإدريسي بدنقلة حتى سنة ١٩٠٥م وأسس دولته حتى عام ١٩٢٣م حيث كانت وفاته في ١٣٤١هـ . كما صاهر السنوسيين المنتشرين في السودان . وكانت نشأة إمارته في ١٣٢٦هـ . ومحمد الإدريسي كان شاعراً وشافعي المذهب ومن تلاميذه الحسن بن أحمد عاكش الضمدي ومحمد بن حيدر النعمي وقد كان عبد الرحمن العتمي كاتب دولته في العشرينات . وممن مدح محمد الإدريسي شعراً محمد إبراهيم الحشيبري وعبد الرحمن المعلمي ومحمد الأمين الشنقيطي وعلي محمد السنوسي وإسماعيل الوشلي وعبد العزيز محمد الضامدي .

ومن الأدارسة الذين كانت لهم بيوتات بالسودان بأرجو السيد عبد المتعال بن محمد الإدريسي . وإذا كانت الإمارة الإدريسية قد شهدت نهضتها السياسية في عهد محمد الإدريسي. فإن أفولها جاء على يد ابنه علي محمد علي محمد أحمد إدريس . وقد ولد علي بالسودان عام ١٩٠٥م وكانت ولادته في دنقلة وهناك قضى ثمان سنوات عند جده لأمه وفي سنة ١٩١٢م وصل إلى صبيا مع والدته ومصطفى الإدريسي . وتعلم بصبيا على يد شيوخه محمد صالح عبد الحق

ومحمد الأمين الشنقيطي وعلي محمد السنوسي . وقد خاض ظروفاً سياسية وعسكرية معقدة منذ خلافته لوالده محمد ، فعين خاله عبد المطلب محمد بن هارون نائباً له وقائداً لجيوشه وكان هذا خالياً من العلم والمعرفة ولم يسبق له المران في الإدارة والحرب وكان يملك صلاحية التوقيع نيابة عن الإمام . . وقد قتل عبد المطلب في حبل واستولى الجيش المتوكلي اليمني على أسلحته ، كما قرب الإدريسي إليه خاله الآخر محمد بن هارون . وقد انتزع عمه الحسن الإمامة منه ففر هو مع السنوسي إلى جزر كمران أو فرسان . وقد أرسل الحسن السيد محمد الميرغني أحد أقرباء الأدارسة للملك عبد العزيز آل سعود طالباً حمايته وذلك قبل أن تنتهي إمارة الأدارسة في ١٣٥٢هـ .

ويذكر أمين الريحاني أنه التقى بجند سودانيين في جيش محمد الإدريسي وجاءه التجار السودانيون للسلام عليه حينما نزل بالحديدة ويذكر أن كثيراً من سكان اللحية كانوا من السودانيين كما يشير أخيراً لمشاهدته لحوار سودانيات في ميدي(٣٣) .

(٣٣) أنظر حول تاريخ الأدارسة (اليمن عبر القرون) لأحمد حسين شرف الدين ، (تكوين اليمن الحديث اليمن والإمام يحيى) لسيد مصطفى سالم ، (تاريخ اليمن الحديث فترة خروج العثمانيين الأخير) لعبد الله بن محسن العزب .

الفصل الثاني

الهجرات المعاصرة

الهجرة اليمنية الحديثة إلى السودان

بدأت الهجرة اليمنية الجماعية الحديثة للسودان عام ١٨٨٤م حينما تعاقد المقاول الاغريقي أنجلو كاباتو مع عمال يمنيين كحمالين بسواكن لتفريغ السفن المحملة بمواد البناء لخط سكة الحديد بين سواكن وبربر[١] . ويشير تقرير المالية والإدارة لعام ١٩٠٧م إلى أنه مقابل الحاجة لتشييد ميناء ومدينة بورتسودان ـ الشيخ برغوث ـ وبناء السكة الحديدية فقد تطلب ذلك استقدام عمال من اليمن بلغ عددهم ١٢٨ ، أمّا في ١٩٠٨م فقد تعاقدت سلطات ميناء بورتسودان مع الشيخ علي يحيى الهمداني متعهد العمال اليمنيين سنوياً لتوفير الحمالين وبلغ عددهم عام ١٩٠٩م في الجمارك وأحواض التفريغ مائتين، ثم تعاقدت سكك حديد السودان وشركة القاش الزراعية سنوياً مع الهمداني لتوفير حمالين يمنيين لترحيل القطن وبذره بمحطات القاش وأروما . وقد حصل الهمداني على عطاء لبناء سكك

---

(١) محمد محمود حميدة ، رسالة ماجستير بجامعة الخرطوم بتاريخ ١٩٧٩م ، باحث سوداني . « دراسة لبعض الجاليات الأجنبية بالسودان ١٩٠٠ ـ ١٩٧٧م » ، الفصل الخامس ، الجالية اليمنية بالسودان ١٨٩٨ ـ ١٩٧٧م .

حديد بورتسودان كسلا سنار في العام ١٩١٠م . كما ازدادت الهجرة عامي ١٧ و١٩١٨م نتيجة للعمل في بناء خزان سنار ـ مكوار ـ على النيل الأزرق وحيث عمل مائتان من اليمنيين. ويشير مصدر آخر إلى نفس هذه المعلومات مع الاختلاف في ترقيم السنوات[٢] . وقد كانت الشركة المنفذة لمشروع الخزان بريطانية وكان العمل يشمل قطع الاشجار والاعمال المدنية داخل جسم السد ومثل اليمنيون ٥٥٪ من مجموع العمال إلا أن خلافاً نشب بين اليمنيين وسواهم من العمال انتهى بقتل اليمنيين لكبير المراقبين المفوض من قبل المستعمر الانكليزي فأصدر الانكليز تعليماتهم للشيخ علي الهمداني وشقيقه حسن بترحيل اليمانية إلى بلادهم ، إلا أن أكثر الموجودين تسلل بمساعدة الأهالي السودانيين وانتشر في أصقاع السودان عاملاً بالمهن الحرة والحرف البسيطة . وقد ازداد الطلب على الهمداني لتوفير العمالة اليمنية لمد خط سكة الحديد لغرب السودان وبدأ إنتاج مشروع الجزيرة من الأقطان وإن كان قد أوقف عن استيراد العمالة اليمنية في ١٩٣٢م لتستبدل بالعمال الهوسا . وقد أخذت أعداد اليمنيين بالتوافد على السودان منذ محنة الحرب اليمنية التركية وصراع الأئمة وآل سعود والأدارسة وفي ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية لعهدي الإمام يحيى حميد الدين وابنه أحمد . وأخذ بعض اليمنيين الذين استقروا في السودان يشجعون أقرباءهم في اليمن على اللحاق بهم إلى السودان . كما توقف في السودان عدد من المهاجرين الذين أدركهم التعب بسبب المرض أو العجز عن مواصلة الرحلة

---

(٢) صالح أحمد محمد الفقيه، « الهجرة اليمنية للسودان » مجلة الوطن، صنعاء .

شمالاً إلى الاسكندرية التي كانت ملتقى أوروبا والشرق الأفريقي والغرب الأسيوي عبر البحر الأبيض المتوسط والتي ظلت تستقبل أفواجاً من اليمنيين الراغبين في العمل بالملاحة في البحار أو في موانىء البحر المتوسط . وقد كان كثير من هؤلاء يأتون عن طريق عدن التي يحصلون فيها على وثائق تدل على أنهم من رعايا الانكليز في جنوب اليمن ومن ثم يعبر بعضهم السودان صوب الاسكندرية مشياً على الاقدام أو على ظهور الرواحل مما يجعل المسافة محفوفة بالتعب والمعاناة . وهكذا وجد من فضل اختصار الطريق والبقاء في السودان كمنطقة عبور وساعد على ذلك ما وجدوه من تشابه بل تطابق في العادات والتقاليد ويسر في المعيشة وبساطة في الحياة .

وفي عام ١٩٤٠ م رأى الإنكليز في السودان أن يستعيضوا بالأخشاب عن الفحم الحجري الذي يحرك القاطرات بالبخار وذلك لأن الحرب مع النازيين قد قطعت خطوط البواخر التي كانت تحمل للعالم أجمع الفحم الحجري المستخرج من مناجم إنكلترا لكل المستعمرات البريطانية ، وقد أشار علماء الحرب العالمية الثانية إلى أن الوقود الخشبي قد يؤدي نفس النتيجة لتحريك القاطرات واقترحوا منطقة أخشاب وغابات كثيفة هي العزازة بالقضارف وبعد دراسات عهدوا إلى الهمداني باستيراد العمال اليمنيين من الحديدة إلى ميناء بورتسودان ينقلون بعدها بالسكة الحديد إلى العزازة وقد مهد هذا في ما بعد لتسرب بعض اليمنيين إلى داخل السودان(٣) .

---

(٣) هذه معلومات استقيتها من الأديب السوداني منير صالح عبد القادر الذي أشرف على المشروع .

وكما وفد اليمنيون إلى السودان عبر البحر الأحمر وسواكن فإن مجاميع منهم وفدت أولاً إلى مصوع وعصب من موانىء أرتريا ثم دخلت السودان عن طريق كسلا وأخذ هذا الطريق ينشط ما بين ٢٠و١٩٣٢م وكان من أسباب تصاعد هذه الهجرة إضافة إلى الظروف السياسية شح الأمطار عند من يعمل بالزراعة ورعي الأغنام . وتدفقت الموجة الثانية من المهاجرين اليمنيين على السودان في الفترة ما بين ٤٠و١٩٤٩م كما تقول ملفات إقامة اليمنيين بقسم الأجانب بوزارة الداخلية بالخرطوم . وقد ساعد على ذلك الإجراءات التي اتخذتها السلطات الايطالية بأرتريا وأثيوبيا عقب نشوب الحرب العالمية الثانية. ففي سعيهم لبناء الطرق هناك فرض الايطاليون أعمال السخرة على المواطنين ومن ضمنهم اليمانية المقيمون فتعرض اليمنيون للتجنيد الإجباري لدعم المجهود الحربي الايطالي . وهكذا هرب بعضهم إلى السودان كلما استطاعوا واستغل الانكليز بعض هؤلاء كجواسيس كما سجنوا البعض الآخر ممن حارب إلى جانب الايطاليين . وإذا كان الخطر والنهب والفوضى التي عمت الحبشة في ذلك الوقت قد تسببت في لجوء هؤلاء للسودان فإن وضعاً مماثلاً قد حدث في السبعينات نتيجة للحرب الأرترية الأثيوبية حيث يقول أحد المصادر إن ٨ آلاف أسرة يمنية الأصل قد لجأت للسودان من الحبشة ما بين ٧٦ و١٩٧٩م(٤) .

---

(٤) حوارات في مجلة الوطن، صنعاء مع صالح مثنى الدعير، أحمد حسن عبد الله، محمد أحمد الرداعي. وحوار أجراه عبد الرحيم زيادة مع سيف الفاضل العماري بنفس المجلة .

ومعظم المهاجرين اليمنيين في السودان من مناطق رداع ويريم وذمار وعنس والوجود اليمني اليوم في بورتسودان وطوكر وأروما يعود جزئياً لأبناء الحمالين اليمنيين المذكورين سلفاً[٥] .

وبعد الفترة ٤٠ - ١٩٤٩م نجد معظم الهجرة محصورة في أبناء العاملين منهم بالسودان إذ كان هؤلاء الأبناء يولدون ويترعرعون باليمن وعندما يبلغون السادسة فما فوق يصلون للسودان لمساعدة الآباء أو لتلقي العلم . وقد وفد على السودان أكثر من مائتي يمني قاتلوا في الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨م وذلك دون أن يعرجوا على بلادهم أمثال ناصر محمد سعيد وأحمد علي حثرة وحسين الربوعي وعلي حسين أحمد ومصلح محمد الجرادي .

وقد تركز المهاجرون اليمنيون في كسلا والنيل الأزرق والخرطوم والدامر والشمالية وكردفان ودارفور والبحر الأحمر وتوزعوا على المدن الكبيرة والصغيرة والقرى والأرياف . وعملوا في حوانيت البقالة والخردوات وصناعة الخبز وتوزيعه وتسويقه وكملاك للمطاعم وباعة للحلوى إضافة للعمل في الترحيل والعتالة . فقد عمل بعضهم كحمالين من السادسة صباحاً حتى الرابعة ظهراً نظير عشرة قروش ، وعمل البعض الآخر في الخدمات والتجارة الصغيرة وفي الزراعة بطوكر والقضارف وكسلا ، وفي كسلا عمل البعض في تجارة القطن ، وفي الأرياف عملوا بالزراعة الخاصة في دلتا طوكر والقاش وكشركاء أو أجراء ، كما عملوا باعة للماء أو سقايين .

وقد صور القاص اليمني محمد حنيبر جانباً من حياتهم في روايته « قرية البتول » كما كتب القاص السوداني علي الملك قصة قصيرة حول

---

(٥) نفس مصدر (١) .

حياة اليمنيين بالسودان[٦] . وفي السودان ترك المطعم اليمني أثره في المائدة السودانية بالترويج للفول المصري الذي كان طعام الفقراء فقط[٧] . كما اكتسب عدد غير قليل من اليمنيين بالسودان مهارات عملية فعمل بعضهم في قيادة السيارات وكميكانيكية وحدادين وعمال بناء وصائدي أسماك فهم بذلك لم يكونوا قطاعاً منتجاً ولم يدخلوا مهارات علمية أو عملية أو فنية[٨] . وقد أسهم هؤلاء بخبراتهم تلك في تطوير بلادهم منذ ذلك الوقت وها هي جريدة الصداقة القاهرية التي كانت توزع في السودان لصاحبها عبد الغني الرافعي تشير إلى استعانة الحكومة اليمنية بالعائدين من السودان لمقاومة الجراد حسب خبراتهم .

وتتضارب الأقوال كثيراً حول عدد اليمنيين بالسودان. ففي تعداد السكان الأول الذي أجرى في السودان عام ١٩٥٦م بلغ عدد اليمنيين ٥٤٥٣ إضافة إلى ٤١ عدنياً و ٧٢٠ حضرمياً ، وقدره محمد محمود حميدة بخمسة عشر ألفاً ، وقدره صالح الفقيه وهو من أعيان اليمانية بالسودان بأن المتبقي منهم اليوم يتراوح بين أربعة آلاف وأربعة آلاف وخمسمائة شخص ينضمون في ألف ومائتي أسرة من مجموع ٢٤٠٠٠ في عام ١٩٦٢م .

---

(٦) علي المك ، البرجوازية الصغيرة بالاشتراك مع صلاح أحمد ابراهيم ، اليمن عادت سعيدة ، تقديم د. إحسان عباس . قصص سودانية مكتبة دار العروبة القاهرة ١٩٥٨م .

(٧) نفس مصدر (١) .

(٨) مجلة الفجر الخرطوم عدد ٢٤ مجلد ١ أغسطس ١٩٣٥م . ص ١١٧ اليمانيون .

كما قدر عدد الدارسين والخريجين العائدين بـ ٣٢٠٠ وبذلك يتبقى ٨٦٠ دارساً يمنياً بالسودان . وسيف الفاضل العماري وهو من أعيان اليمانية بالسودان أيضاً يقول إن المتبقي في الإقليم الأوسط هو ٣٥٠٠ من مجموع ٧٠٠٠٠ كان في عموم السودان . وفي عام ١٩٦١م قدرت السفارة اليمنية عددهم بـ ٢٢٦٨ مواطناً بينهم ٤٠ امرأة[٩] أما في يونيو ١٩٧٧م فقالت ملفات الإقامة لليمنيين بقسم إقامة الأجانب بوزارة الداخلية السودانية إن عددهم ٩٤٢ وفي نوفمبر ١٩٧٨م قدر سفير اليمن الشمالية بالخرطوم عدد اليمنيين الذين حصلوا على جوازات وتأشيرات للعودة الى اليمن في الفترة ٦٨ ـ ١٩٧٧م بـ ١٧٠٠٠ بينما تقول وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي وهو من أعلام اليمانية بالسودان برقمين : الأول عشرون ألفاً والثاني يعود إلى عام ١٩٥٥م وهو حوالى ٤٨٠٠[١٠] . وربما فسر لنا جزئياً هذا التضارب في الأرقام أن عدداً من اليمنيين في السودان غير مصرح لهم بالإقامة كما أن منهم من تزوج بسودانيات وأنجب أطفالاً حصلوا على الجنسية السودانية .

وكذلك تتضارب الآراء حول نشأة أول هيئة رسمية للجالية اليمنية بالسودان . ويبدو أن أول هذه الجاليات إنما أنشىء بمدني في عام ١٩٥٤م وفي الربع الأول منه، وإن كان مصدر آخر يقول بأن جالية أم درمان قد سبقت إلى ذلك في عام ١٩٥٣م . وتأسست أول جالية ليمني الخرطوم في ١٩٥٥م. وتم افتتاح أول

(٩) مجلة السودان عدد ٢٠ سبتمبر/نوفمبر ١٩٦١م أبناء اليمن السعيد .
(١٠) وثائق الشرفي ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء .

مكتب اتصال يمني بالخرطوم في ١٩٥٦ م بينما قامت أول قنصلية في العام الذي تلاه .

والجدير بالذكر أن اليمنيين القادمين قبل عام ١٩٤٢م كانوا يقيمون بدون شروط وبدون جواز سفر رسمي أما من جاء بعد ١٩٤٢م فمطلوب منهم أن يجددوا جوازاتهم سنوياً لدى مكتب الجوازات والرخص وإذا جاء منهم من لا يحمل جواز سفر بعد العام ١٩٥٠م فإنه يحاكم ويبعد .

وقد شارك بعض اليمنيين بالانضمام لقوة دفاع السودان لحماية السودان مع اخوانهم السودانيين وخاضوا معارك إلى جانب البريطانيين في العلمين وطرابلس أثناء الحرب العالمية الثانية وقد قتل بعضهم وعاد البعض الآخر إلى مواقعهم في السودان بانتهاء الحرب . وتعرض اليمنيون للمضايقة أثناء حكم الرئيس السوداني إبراهيم عبود فتارة منعوا من ممارسة العمل التجاري وحيناً أوشك بعضهم أن يرحل إلى اليمن بحجة ممارسة النشاط السياسي المعارض للحكم الإمامي في اليمن . كما استقطب العمل السياسي السوداني بعضاً من اليمنيين للانخراط فيه ومنهم باخريبة ـ والد الشاعر والطبيب السوداني علي عمر باخريبة صاحب ديوان « فيض من الله » ـ وقد كان من أبطال حركة ١٩٢٤م التي قادها المناضل علي عبد اللطيف ضد المستعمر الإنكليزي وقد اتهم باخريبة بممارسة النشاط السياسي خارج وطنه اليمن . كما شارك بعض الشباب اليمني في حزب الأشقاء الموالي لمصر ومنهم يمني ترأس هذا الحزب في كسلا هو يحيى علي يحيى وقد حكم عليه بالسجن السياسي لمدة عامين. وقد استقطبت الحركة الختمية وزعيمها

السيد علي الميرغني الشاعر اليمني المهاجر إلى السودان قاسم أحمد الجيلي ـ والد الأديب السوداني الدكتور عون الشريف قاسم ـ ومن أشعاره في الختمية :

قاسم الجيلي نظم فيكمو يا أهل الكرم
يا علي كم وكم كم فقير صار غني

أما الحركة المهدية فقد كان الإسهام اليمني فيها عبر شخصية سعيد عبد الله باعشر وشخصية عبد الرحمن بن حسين الجبري كما وقفنا عليه في الفصول الأخرى .

وأسهم اليمنيون بالمال والمواد في دعم مصر بعد العدوان الاسرائيلي عليها في يونيو ١٩٦٧م وكانت الجالية اليمنية في مدني جزءاً من الهيئة الشعبية للتضامن مع مصر .

غير أن اليمنيين أخذوا بالعودة إلى بلادهم بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م اليمنية وانخرط ٢٠٠ متطوع منهم في صفوف الحرس الوطني اليمني كما التحق بعض الذين نالوا قسطاً من التعليم كصف ضباط في الجيش الجمهوري اليمني . وقد استمر هذا التدفق اليمني على الوطن نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي شهدته الجمهورية العربية اليمنية في السبعينات والثمانينات بحيث قدر أحد المصادر أن لا يبقى من اليمنيين في السودان سوى ٤٨٦ حصلوا على الجنسية السودانية ولهم روابط أسرية بالسودان أو قلة من الأثرياء الناجحين أو الفقراء جداً ممن لا يقدرون على تكاليف رحلة العودة .

التزاوج اليمني السوداني في السودان

وعلى الرغم من التركيبة القبلية المعقدة في شمال السودان فإن عدداً من الزيجات بين المهاجرين اليمنيين والنساء السودانيات قد

حدث خلال هـذا القرن لأسباب لعل منها أن السودانيين وجدوا في اليمنيين الكثير من الصفات الاسلامية المشتركة وكان سلوك معظم المهاجرين وبساطتهم واحتكاكهم بالمجتمع ومجاملتهم له في أموره الوطنية والاجتماعية كان هذا كله سبباً في التقارب بين المجموعتين وقد عمل معظم اليمنيين بـالحوانيت والحـرف الصغيرة ولم يشكلوا طبقـة إقتصاديـة منعزلـة عن عمـوم الشعب، أضف إلى ذلـك أن غالبيتهم كانت من العزاب الذين رأوا في الزواج بالسودانيات مدخلاً لاستقرارهم في السودان . وثمة حقيقة هامة هي أن المهاجرين لم يلقـوا بالاً إلى الأصـالة القبليـة أو المكانـة الاجتماعيـة للمرأة التي يتـزوجـونهـا كمـا يفعـل السـودانيـون في مـا بينهم وبكثيـر من الحرص . ويرى محمد محمود حميدة أن أغلب اليمنيين تزوجوا من البني عـامر والـرشايـدة ـ الزبيـديـة ـ والأسـر الفقيـرة ولكنني أتحفظ على هذا الرأي للباحث حميدة . وسرعان ما اكتسب أبناء هـذا التزاوج مـلامح الشخصيـة السودانيـة . فهنالـك بحث طبي أجراه طبيبان يمنيان في السودان[١١] تدل نتائجه على أن أكثر من نصف فتيات الجاليـة اليمنية بـالسودان خضعن لعمليـة الخفاض الفرعوني وهي عادة سودانية وليست يمنية بأي حال . ومن جـانبه يشيـر صالـح الفقيه إلى أن أكثـر نسبـة للتـزاوج قـد تحققت في الثلاثينات حينما قفزت من ١٠٪ إلى ٣٠٪ .

---

(١١) هما أحمد مصلح السنباني وعلي باسمح ودراستهما بالانكليزية موجودة في شعبة طب المجتمع بكليـة الطب بجامعة الخرطوم للعام ٧٧ ـ ١٩٧٨م .

ومن الشخصيات السودانية في عالم الإبداع الأدبي والفني ذات الأصل اليمني الشعراء محمد سعيد باجسير وحسين بازرعة وعلي عمر باخريبة والأدباء عون الشريف قاسم وأحمد النميري والدكتور محمد يحيى حسين الشرفي[12] والموسيقيون : ناجي الهيثمي ـ القدسي ـ والطيب عبد الله وعثمان اليمني والكوميديان حجازي علي ناصر كما أن من المبدعين اليمنيين ذوي الأصول السودانية الشعراء يوسف عبد الله الحواتي ومحاسن عبد الله الحواتي وعزيزة مصلح أحمد والرسامة نجلاء نصر الدين .

وممن تناول الانصهار اليمني بالسودان الإذاعي اليمني قائد العديني والدبلوماسي اليمني بالخرطوم أحمد غالب عبد الله وذلك على شكل موضوعات صحفية بجريدة « الثورة » اليمنية .

الهجرة السودانية الحديثة إلى اليمن

هذا فصل ما تزال سطوره تكتب كل يوم إذ إن الهجرة السودانية المعاصرة لشمال اليمن حديثة العهد نسبياً لاسيما بالمقارنة مع هجرة المعلمين السودانيين إلى جنوب اليمن . ويعتبر الرياضي الراحل إبراهيم رشدي ابن واد مدني بالسودان من أوائل السودانيين الذين استقروا بشمال اليمن وقد ورد اسمه مراراً في وثائق حركة الأحرار اليمنيين في السودان ، ونقدر دخوله الى اليمن بالأربعينات . أما الهجرة المكثفة فقد بدأت في السبعينات وامتدت

(١٢) الدكتور منصور خالد ، السودان والنفق المظلم ، قصة الفساد والاستبداد ، طبعة أولى ، مالطا ١٩٨٥م ، أنظر فصل « النطاسي البارع والقبعة اليمنية » .

إلى الثمانينات. وتشير دراسة[١٣] إلى وجود ٨٠٠ سوداني باليمن الشمالي في يونيو ١٩٧٨م وقفز العدد إلى ٦٠٠٠ في مايو ١٩٧٩م وأكثر المهاجرين آنذاك كانوا من العمال غير المهرة ولم يمثل المدرسون سوى نسبة ١٠/٨ بالمائة وكان السودان قد أنشأ معهداً للمعلمين في صنعاء في السبعينات . ويقول مصدر آخر[١٤] إن خمسة آلاف معلم سوداني قد انخرطوا في المدارس الابتدائية والإعدادية في عام ١٩٨٥م ، بينما يشير وزير العمل والتأمينات الاجتماعية السوداني إلى أكثر من عشرين ألف سوداني في اليمن منهم ٥٧٪ عمالة فنية وقد واكبت هذه الهجرة المحنة الإقتصادية التي شهدها السودان في السبعينات والثمانينات .

ومن الملاحظ أن هذه الهجرة السودانية القصيرة العمر نسبياً إلى اليمن قد أنتجت الكثير من الإبداع الأدبي والفني وكثيراً من الدراسات الأكاديمية أيضاً التي قام بها سودانيون وكان موضوعها اليمن . فنشرت الصحف اليمنية عدداً من القصص لفيصل مصطفى والزين عبد الرحيم أحمد وسر الختم محمد محجوب كما جاء إلى اليمن القاص أحمد الفضل أحمد والمخرج دفع الله أحمد البشير وعبد العظيم كباشي والموسيقي هاشم عثمان محجوب والأديب

---

(١٣) أنظر دراسة علي عبد الله علي عن الهجرة السودانية لليمن ، مجلة دراسات يمنية صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني عدد ١٨ سنة ١٩٨٤م ، وقد سبقتها دراسة الدكتور محمد العوض جلال الدين بكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة الخرطوم .

(١٤) مجلة التعليم والتدريب في الشرق الأوسط العدد ٤ السنة السابعة ١٩٨٥م .

الدكتور عبد السلام نور الدين الذي وضع عدداً من الدراسات حول الأدب اليمني ونشرها خلال وجوده بصنعاء ، والصحفي محمد المكي أحمد والشعراء زين العابدين محمد صديق ومحيي الدين الفاتح ومحمد نجيب محمد علي وجعفر حامد البشير وعوض اسماعيل الشيخ وحامد إبراهيم حامد وعبد القادر شرفي محمد وعثمان علي أبو بكر ومحمد علي عثمان ومحمد أحمد سوركتي وخضر عطا المنان وآدم زين العابدين آدم وعبد القادر محمد ابراهيم ـ الجيلاني الناطق ـ كما طبع عزمي أحمد خليل ديوانه « حان الزفاف بصنعاء » .

ووضع الدكتور الطيب زين العابدين أطروحته للدكتوراه من جامعة كامبريدج البريطانية عام ١٩٧٥م حول أثر الدين الاسلامي في الدولة اليمنية الحديثة كما قدم أبحاثاً أخرى حول الاتجاه الديني في دستور الجمهورية العربية اليمنية وبحثاً حول حركة الأحرار اليمنيين وكانت كل أبحاثه هذه بالانكليزية .

كما وضع علي عبد الله علي عدداً من الأبحاث الاقتصادية حول اليمن وبحثاً عن العمالة الأجنبية في اليمن كدراسة لحالة السودانيين المهاجرين في يوليو ١٩٧٩ م ، ووضع بابكر علي عبد الكريم رسالة ماجستير من معهد الدراسات الأفرو آسيوية بجامعة الخرطوم عن الوحدة اليمنية ، وجاء الباحث حامد عثمان أحمد لبعد بحثاً في العلوم السياسية عن جامعة أكستر البريطانية . وحضر الباحثان عادل السعيد وقسم الله محمد إدريس ليعدا أبحاثاً عن المسرح . وإنني لأعتذر لكثير من المبدعين السودانيين في اليمن الذين لم أتمكن من حصر

أسماءهم أو أعمالهم لظروف عديدة أهمها عدم نشرهم لإنتاجهم بـالصحف اليمنية ووجـودي خـارج اليمن في بعض الفتـرات من الزمان فعفواً .

ورغم كثافة الهجـرة السودانيـة اليوم لليمن الشـالية إلا أن المقارنة تبدو واضحة مع هجرة اليمنين للسودان من حيث كـونها هجرة مؤقتة لطلب الرزق بينها كانت الهجرة اليمنية للسودان أكثر عمقاً بل وانصهاراً كاملاً في كثير من الأحيان .

الفصل الثالث

جسر التعليم بين جنوب اليمن والسودان

قامت بين جنوب اليمن والسودان تحت إدارة الاستعمار الانكليزي للمنطقتين حركة نشطة من تبادل الخبرات والكوادر التعليمية من مدرسين وطلبة بحيث أخذ السودان يرسل أعداداً من المدرسين إلى جنوب اليمن ويستقبل في الآن ذاته أعداداً من الطلبة اليمنيين الدارسين بمدارسه ومعاهده وجامعاته . كما عمل عدد من الساسة البريطانيين كوليم لوس والمربين كجون هارتلي في المنطقتين .

وفي عام ١٩٣٧م أرسل أديب عدن أحمد محمد سعيد الأصنج وكان رئيساً لنادي الإصلاح العربي الاسلامي في أحد أحياء عدن رسالة إلى الزعيم السوداني عبد الرحمن المهدي يناشده فيها السماح لبعض الطلبة العدنيين الفقراء بالدراسة في كلية غردون بالخرطوم أو سواها من معاهد السودان أو مصر وعلى نفقته وتلت هذه الرسالة رسالة مشابهة من رائد الصحافة العدنية الأستاذ محمد علي لقمان وكان هو الآخر رئيساً لأحد فروع نادي الإصلاح . وفي ١٠ ابريل ١٩٣٨م جاء رد وكيل دائرة السر للسيد عبد الرحمن المهدي مفيداً أن الالتحاق في كلية غردون من اختصاص حكومة السودان وسكرتير المعارف فبعد أن يقبل التلاميذ

في التعليم فإن الدائرة تساعد بما يمكنها في مصروفاتهم الشخصية. فكتب العدنيون إلى كلية غردون مستفسرين عن التكاليف لكن جواب غردون جاء محبطاً للآمال فقد أفاد بأنه لا يقبل المخابرة في الموضوع إلا بواسطة حكومة عدن ، ويبدو أن الرد جاء بعد المشاورة مع حكومة المستعمرة لأن الحكومة البريطانية كانت آنذاك تستعمر القطرين معاً ولم تكن بالطبع تشجع اهتمام الجمعيات الإصلاحية بتعليم أبناء البلاد فتحول نادي الإصلاح إلى الجامعة الامريكية في بيروت ثم استمرت المراسلة مع السيد المهدي بهدف أن يتحمل نصف الأجرة المقررة لأربعة طلاب بواقع ٤٠ جنيهاً للواحد في السنة لكن شيئاً لم يتم في الموضوع ولم يتوصل إلى نتيجة[1] .

ويشير المستشرق الانكليزي روبرت ب سارجنت إلى أن المستر جويفتز ـ جريفس ـ الذي كان مديراً لكلية بخت الرضا بالسودان قد استدعي الى حضرموت في السنين الأولى من الحرب

(١) النوادي الأدبية والثقافية في عدن قبل الاستقلال الوطني ، والتعليم في اليمن الديمقراطية قبل الاستقلال عدد ٣٦ وعدد ٣٨ اكتوبر ١٩٨٣م وإبريل ١٩٨٤م ، مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي ، الكويت علوي عبد الله طاهر .

واقع التعليم في اليمن قبل الثورة ١٩٦٢م ـ عدد ١ سنة خامسة صيف ١٩٨٧م مجلة الإكليل صنعاء علوي عبد الله طاهر .

دور الجمعيات الإصلاحية والنوادي الثقافية في مجلة السياسية التعليمية بعدن خلال تبعيتها للهند ، سلطان ناجي .

الحالتان التعليمية والثقافية في عدن عدد ٢١ سنة ثانية صيف ١٩٨٢م ، مجلة الإكليل صنعاء ، سلطان ناجي .

العالمية الثانية وذلك ليضع تقريراً عن حالتها التعليمية فاقترح قيام مدرسة وسطى عرفت في ما بعد بمدرسة غيل باوزير، وجاء جرفس معه بالشيخ سعيد القدال من السودان الذي أصبح في ما بعد مسؤولاً عن المعارف بحضرموت . ولنستمع إلى جرفس يخاطب انجرامس في خصوص القدال : « لقد حصلت على ما أعتقد على الرجل المناسب لكم وفي الحقيقة فإن الرجل في مخيلتي منذ السنة الأخيرة اسمه الشيخ القدال سعيد القدال عمره ٣٨ سنة ومدير مدرسة ابتدائية تعتمد على الهبات وهو ذو شخصية قوية وذكي ومدير ناجح يمتلك مقدرة غير عادية[٢] .

وبعد تولي القدال إدارة المعارف الحضرمية كتب إليه الأستاذ سعيد عوض باوزير رسالة فرد القدال عليه بتاريخ ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٤١م يقول: «إن مجموعة كالحضارم ضربت بسهم صائب في الأعمال الحرة ونالت قسطاً وافراً من النجاح في الخارج زيادة على ما لها من تقاليد قديمة في داخل وطنها حرية بأن تستفيد إلى أقصى حد من أي تعليم يحاول الربط بين ما هو موجود في التقاليد وبين أحسن التعاليم العصرية . إنني متفائل تفاؤلاً حسناً بحدوث نهضة ثقافية في البلاد». وقد كان القدال شاعراً وراوية للشعر ومهتماً بالمسرح ومما يحفظ له قوله :

يا حضرمي أنا وأنت على وئام واتحاد

---

(٢) أنظر حديث سارجنت في مجلة العالم البيروتية ، وانظر تقرير فل جرفس في مايو ١٩٥٠م ضمن وثائق مكتب الثقافة والسياحة بمحافظة حضرموت .

هذي يدي فامدد يداً فالخير في جمع الأيادي

ويذكر سعيد عولقي[٣] في دراسته للمسرح اليمني أن القدال أشرف على مسرحيتين مثلهما طلاب المدرسة الحكومية بالمكلا هما « الأمين والمأمون » و « رجل الأوهام » وإن نالت المسرحيتان نقداً في صحيفة فتاة الجزيرة بعدن في مايو ١٩٤٢م . ويشير عولقي إلى مدرس سوداني آخر أسهم في الحركة المسرحية الحضرمية هو الأستاذ عوض عثمان مكي .

ولكن رغبة المستشار البريطاني المعتمد بحضرموت ورغبة السلطان صالح بن غالب القعيطي وابنه عوض في تعيين القدال الذي كان سكرتيراً للدولة وزيراً للسلطنة خلفاً للشيخ سيف أبو علي أدت إلى حدوث تمرد شعبي على رغبة السلطات في اختيار غير حضرمي لهذا المنصب الذي رشح البعض الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف له لا سيما الحزب الوطني وممثلوه. وتعرف هذه الجوادث في ديسمبر ١٩٥٠م بحادثة القصر وقد وضع فيها الأديب الحضرمي أحمد عوض باوزير كتابه (شهداء القصر) . وأدت الحادثة الى سقوط حوالى ١٨ قتيلاً وقد كان أبطال هذه الأحداث السلطان نفسه والشيخ اليافعي أحمد ناصر البطاطي والمستشار البريطاني الكولونيل هيوبوستيد والقائد صالح بن سميدع وممثلي الحزب الوطني وكان بعضهم كعوض محمد بكير يفضل القدال والشيخ القدال إضافة إلى جماهير المكلا . ورغماً عن هذه

---

(٣) أنظر له (سبعون عاماً على المسرح في اليمن) .

الأحداث الدامية عين القدال (أم بي أي) خلفاً للشيخ سيف أبو علي وظل يعمل بحضرموت حتى عام ١٩٥٨م[٤] .

وهكذا جاء إلى حضرموت بعد القدال عدد من المدرسين السودانيين كما جاؤوا إلى سواها من مقاطعات جنوب اليمن ، ويشير عبد الرحمن جرجرة[٥] إلى وجود المدرسين السودانيين في لحج ووجود الطلبة اللحجيين في السودان . كما يذكر صلاح البكري[٦] أن المنهج السوداني هو الذي يدرس في المدارس الحضرمية القعيطية وإن لم تتفق مع حاجات المجتمع .

أما بالنسبة لعدن فيشير صلاح البكري إلى أن هارولد انجرامز نفذ اقتراح الكابتن دارنفولد والسير برنارد ريللي في ابريل ١٩٣٦م بإنشاء كلية أبناء السلاطين ورؤساء القبائل التي اختير لها مدير سوداني هو عبد القادر أوكير يمتلك الإدراك لفهم الهدف من وراء المدرسة . ويقول مصدر آخر إن المدرسة افتتحت في ابريل ١٩٣٥م .

وقد أخذت الحكومة الحضرمية ترسل الطلبة المختارين من

---

(٤) أنظر صحيفة النهضة العدنية بتاريخ ٢١ - ١٢ - ١٩٥٠م ، وانظر لهيوبوستيد كتابه (نسيم الصباح) ، وانظر لـ آراجي جافتين (عدن تحت الحكم البريطاني) ، و (العربية والجزائر) لهارولد انجرامز ، و (التاريخ العسكري لليمن) لسلطان ناجي .

(٥) أنظر له (أرضنا الطيبة هذا الجنوب)

(٦) أنظر له (في جنوب الجزيرة العربية) .

الدفعات الأولى من خريجي مدرسة غيل باوزير إلى كلية المعلمين ببخت الرضا بالسودان حيث يقضون فترة تدريبهم هناك ويجمعون إلى الثقافة المدرسية المطلوبة خبرة فنية بطرق التدريس وشؤون الإدارة وكل ما تتطلبه الحياة المدرسية من الأنظمة والقوانين وأوجه النشاط المدرسي بمختلف فروعه وألوانه ثم يعودون لتولي التدريس وشغل الوظائف الإدارية والتفتيشية في المدارس الابتدائية . كما أرسل عدد آخر من الخريجين الى مدرسة حنتوب الثانوية بالسودان لتزويد هيئة التدريس في المرحلة المتوسطة بالكفاءة العلمية والخبرة الفنية. وذهب البعض للدراسة الجامعية بالسودان على نفقة الجمعية الخيرية بالمكلا . وفي تقرير للشيخ سيف بن علي البوعلي سكرتير الدولة القعيطية في حضرموت عن التعليم في عشر سنوات ٤٠ ـ ١٩٥٠م ورد أن ١٦ دارساً حضرمياً بعثوا للسودان .

أما إدارة المعارف العدنية فلم تبدأ بإرسال الطلبة إلى السودان إلا في ١٩٤٢م لإكمال الدراسة الثانوية ثم الجامعية .

وإذا قصرنا حديثنا الآن على المبدعين من السودانيين الذين جاؤوا للعمل بجنوب اليمن لوجدنا أن منهم من أسهم في المسرح كالقدال وعوض عثمان مكي اللذين سبق لنا الحديث عنهما والدكتور سيد أحمد نقد الله الذي أخرج بعض مسرحيات الأديب الحضرمي علي أحمد باكثير وكانت إحداها عن الثورة في[7] أندونيسيا . . وقد قضى نقد الله فترة ٥١ ـ ١٩٥٣م في حضرموت

---

(٧) انظر مقاله قبل الأخير من سلسلة حديث الثلاثاء بصحيفة الأيام الخرطومية بتاريخ ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٨٤م للراحل سيد احمد نقد الله .

واضطر لمغادرة البلاد بأمر من السلطات الانكليزية المستعمرة لاتهامه بالنشاط السياسي فقد كانت له كتابات وطنية في صحيفة « النهضة » العدنية .

كذلك أتى الى جنوب اليمن الأدباء محجوب زيادة وتزوج هناك وهو صاحب كتاب (دخول الاسلام في السودان) ، وعبد القادر ابراهيم تلودي وله أغان من كلماته في السودان، وحسن فريجون وقد تزوج في اليمن، وأحمد محمد نور وكانت له كتابات بمجلة الأفكار العدنية التي يصدرها آل لقمان ، والشعراء سيد أحمد الحردلو وصديق مدثر ومحمد مجذوب علي .

وظل الإبداع الأدبي قاسماً مشتركاً لدى السودانيين القادمين للعمل بالتدريس في جنوب اليمن حتى بعد الاستقلال الوطني في ١٩٦٧م . وهو ما نجده لدى تاج السر الحسن والدكتور جيلي عبد الرحمن ومبارك حسن الخليفة وأسامة عبد النور وأحمد ابراهيم أرياب ومحمد عثمان يس وابراهيم الكامل محمد أحمد[٨] .

---

(٨) انظر مجلة الأفكار عدد يناير ١٩٤٦م حول كتابات أحمد محمد نور وراجع الكتابات الصحفية لمحمد عثمان يس ورد الصحفي السوداني ابن البان عليها بصحيفتي الرأي العام والأضواء الخرطوميتين .
الواقع أن عدداً آخر من المبدعين السودانيين قد زار عدن وظهر أثر ذلك في كتاباتهم وأعمالهم كالتجاني السيوفي ، وجمال محمد احمد الذي تناول رحلاته في جنوب اليمن في بعض مؤلفاته ، ويذكر الشاعر اليمني عبد الله هادي سبيت ان اول لقاء له مع المطرب اليمني محمد مرشد ناجي كان في الخمسينات في نادي الشباب الثقافي بالشيخ عثمان بعدن بحضور الأديب السوداني سر الختم الخليفة والاستاذ عبد العزيز باوزير .

ويحدثني علوي الجبلي عن دور في الحركة الوطنية اليمنية ضد الاستعمار الانكليزي للمدرسين السودانيين في عدن وخاصة مبارك فضل الله ، وكذلك الأمر مع محمد باب الله[٩] . ويذكر الشاعر اليمني القرشي عبد الرحيم سلام أنه تلقى مبادىء الصحافة الأولية على يد مدرسين سودانيين كانوا يعملون بجنوب اليمن ، كما تعبر قصيدة للشاعر اليمني سالم عبد العزيز في ديوانه (والعشق أيضاً يمان) على مدى تعلق الطلبة الحضارمة في مدرسة غيل باوزير بمعلميهم من السودانيين .

وبالمقابل نجد أن عدداً من أدباء اليمن بشطريها قد تلقى دراسته في السودان ومن هؤلاء علوي محمد الصافي الذي كان من أول الدارسين اليمنيين بسواكن في العقود الأولى من قرننا العشرين[١٠] ، والشاعر الراحل نجيب جعفر أمان الذي احتفل نادي الإصلاح بعدن بعودته من السودان بصفته أول دارس يعود منها، والمؤرخ محمد عبد القادر بافقيه الذي نشر أول محاولة قصصية له في السودان بعنوان « الدقة بالدقة » كما نشر مقالات أدبية وأشعاراً وتناول في بعض ذلك شعر القدال ، والمؤرخ الراحل محمد عبد القادر بامطرف[١١] والشعراء لطفي أمان وسعيد محمد دحي وعلي عمر الصافي والسياسي الراحل قحطان محمد الشعبي الذي كان أول رئيس لجمهورية جنوب اليمن . ويشير سعيد عوض طاهر باوزير في كتابه (الفكر والثقافة في التاريخ

---

(٩) ملحق الثوري مجلة النهج عدن العدد ٥٨٣٢ مايو ١٩٨٤م .

(١٠) مجلة المنتدى دبي العدد ١٥ .

(١١) مجلة الحكمة عدن العدد ٢٣ يوليو ١٩٧٣م .

الحضرمي) إلى أن من أبرز الفنون الجميلة بالمدارس الحضرمية كـان من خـريجي الـسودان : سـالم عــوض بـاوزيــر ، علوي المفلحي ، أحمد الملاحي[١٢] .

ورغم أن الوشائج التعليمية بين شمال اليمن والسودان لم تنشأ رسمياً في ذلك الوقت إلا أن مجموعة من أدباء اليمن الشمالي حضروا للسودان ودرس بعض منهم شيئاً من دراسته هنـاك ومن هؤلاء الدكتور عبد العزيز المقالح والقاص محمـد محمـد حنبير ، كمـا تلقى الأديب حسين محمد المقبلي شيئاً من دراسته في المعهد الديني بأم درمان يوم أن احتضنته أسرة عمر الإمام .

وفي سنة ١٣٢٩هـ أتى طلب من جمعية خير الحضرمية ببتافيا بجاكرتا لإدارة التعليم بمدرستها بواسطة محمد بن يوسف الخياط وحسين محمد الحبشي إلى الشيخ السوداني أحمد محمد السوركتي وهو من مواليد أدفو بدنقلة وينتسب إلى الجوابرة من جابر بن عبـد الله الأنصاري وقد ولد في ١٨٧٥م وتوفي في ١٩٤٣م . فسار السوركتي الذي كان يعمل وقتها بتدريس علوم الدين بمكة المكرمة الى جاوه ويصحبته معلمون هناك ومندوب جمعية خير السيد عبد الله عبد المعبود الموصلي . وذات يوم سأله السيد عمـر سعيد بن سنكـر في مدينـة صولوه عن زواج العلوية بغير العلوي فأجاز السوركتي ذلك فغضب منه العلويون وأصبح الشيخ محمد عبد الرحمن شهاب العلوي من ألد أعدائه وكذلك عـاداه عبد الله العيـدروس واضطر السـوركتي لـلاستقالـة في ينايـر ١٩١٤م ، وحينها تـأسست جمعيـة الإصـلاح

---

(١٢) انظر له ايضاً (صفحات من التاريخ الحضرمي)

والإرشاد العربية ببتاوى سنة ١٤/١٩١٥م أصبح السوركتي قائماً بإدارة التعليم بها يساعده عدد من المعلمين السودانيين كالعلامة أحمد العاقب وعدد من الحضارمة كعمر منقوش وسعيد مشعبي ومحمد عبيد عبود الحضرمي . ودخل السوركتي في مهاترات صحفية عبر صحف صولوه هنديا والإرشاد والإقبال ، وأصبح السوركتي عضواً في لجنة الإصلاح التي أسسها في عام ١٩١٩م اسماعيل عبد الله العطاس للم صفوف عرب الملايو وكان من أعضائها أيضاً محمد عبد الرحمن شهاب وغالب سعيد تبيع ولكن كاتب الجمعية الخيرية العربية بسورابيا محمد حسم محمد بارجا أعلن رفضه لمساعي المصالحة في ١٣٣٧ هـ لوجود سوداني بين أعضاء لجنة الإصلاح بينما التزم حسين عابدين وغالب عوض القعيطي وعلي المنصور غالب الكثيري الحياد وحاولوا الهدنة(١٣) .

(١٣) انظر (تاريخ حضرموت السياسي) لصلاح البكري و (السودان) لعبد الله حسين .

الفصل الرابع

مدني قاعدة النضال اليمني

بعد لجوء فيلسوف الثورة اليمنية وشاعرها الشهيد محمد محمود الزبيري إلى عدن المستعمرة الإنكليزية آنذاك مرحلة جديدة في صراعه ورفاقه الأحرار اليمنيين من نظام الإمام الفردي في شمال اليمن . . ذلك الصراع المرير الذي تكلل بميلاد الجمهورية العربية اليمنية في سبتمبر ١٩٦٢م .

وقد بدأ الزبيري منذ ذلك الوقت في تنظيم صفوف المهاجرين اليمنيين في الخارج دعماً لحركته شارحاً لهم عدالة قضيتهم ومطالباً إياهم أن يضطلعوا بدورهم التاريخي في العملية الثورية ، وكان بعض المهاجرين اليمنيين في السودان ما يزالون تحت تأثير اسطورية الإمام وتسلطه وكان بعض هؤلاء يرى في مهاجمة الإمام إهداراً لكرامة اليمني في مهجره بالسودان وهكذا كان لا بد أن يأتي إلى السودان أكثر من مرة الأستاذ الزبيري وكذلك المناضل عبد الله علي الحكيمي ليشرحا البرامج الإصلاحية لحركة الأحرار اليمنيين نحو حياة أفضل .

وقد وجد الزبيري في بعض الشخصيات اليمنية في السودان عوناً كبيراً له في مهمته الصعبة التي كانت تتم تحت رقابة ممثلي الإمام بالخرطوم والمستعمر الإنكليزي في السودان ، وتشير بعض المصادر

إلى أن المرحوم الشيخ يحيى حسين الشرفي وحسين الحسني وقائد ناصر العماري - قائد صالح النديش - كانوا قد أسسوا تجمعاً للجالية اليمنية بالسودان بعد عام من انتفاضة ١٩٤٨م بشمال اليمن .

وزار الزبيري برفقة احمد الخزان ويحيى محمد احمد السودان للمرة الأولى عام ١٩٥٤م مهنئاً بنيله الحكم الذاتي وأقيمت له الاحتفالات فكان منها حفل المقرن بالخرطوم الذي حضره الزعيم السوداني الراحل اسماعيل الأزهري وعدد من المسؤولين السودانيين أمثال يحيى الفضلي . . الخ وألقى الزبيري في الحفل خطبة استعرض فيها تاريخ العلاقات اليمنية السودانية ، ثم حفل آخر في مدينة ود مدني حضره الأعيان من السودانيين مثل حسين علي كرار محافظ مديرية الجزيرة وأحمد خير المحامي وزير الخارجية وزيادة أرباب وزير التربية وأمين أحمد حسين رئيس شرطة محافظة الجزيرة وقال فيها الشاعران مبارك المغربي وأحمد مصطفى الملثم القصائد الترحيبية ورد عليها الزبيري بقصيدة امتدح فيها أصالة الكرم السوداني ، كما تمكن الزبيري خلال الزيارة من الالتقاء بالزعامات التقليدية السودانية كالسيد عبد الرحمن المهدي والسيد علي الميرغني وشخصيات أخرى سياسية كخضر حمد وكان الهدف من هذه اللقاءات تسهيل معيشة اليمنيين بالسودان[١] .

غير أن الذي مهد كثيراً من النجاح لتلك الزيارة كان المناضل

---

(١) عبد الرحمن محمد العمراني ، الزبيري أديب اليمن الثائر ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ١٩٧٩م .

الفذ الشيخ يحيى حسين الشرفي فقد كان يتمتع بشعبية كبيرة بين اليمنيين الذين كان لهم تجمع ملحوظ في ود مدني وكذلك عرف عن الشرفي رعايته الأبوية للطلبة اليمنيين الدارسين بالسودان جنوبيين وشماليين ، كما تمتع الشرفي بثقة السودانيين فكان عام ١٩٥٩م عضواً في مجلس بلدي ود مدني[٢] .

وأتبع الزبيري تلك الزيارة بزيارة ثانية تكون خلالها فرع السودان من الاتحاد اليمني تنظيم الأحرار اليمنيين ، ثم بزيارة ثالثة كما تذكر بعض المصادر استضافه فيها المهاجر سعد التويتي بالخرطوم . وكان من ثمار هذه الزيارات المتلاحقة ربط المهاجرين في السودان بأحداث الوطن اليمني وبإخوانهم المهاجرين في مصر وبريطانيا وعدن وغيرها من المناطق التي امتد إليها النشاط الوطني ضد الحكم الإمامي ، كما أسهمت مالية فرع السودان في الاتحاد اليمني في الإنفاق على الكثير من الطلبة اليمنيين الدارسين بمصر ومنهم طلبة رواق اليمانية بالأزهر بواسطة شيخهم محمد علي الأهدل . ومن ناحية أخرى طبع في السودان عدد من منشورات حركة الأحرار وبعض كتابات الزبيري وقصائده وكتاب (أنقذوا اليمن) للشرفي . . . وفي كتابه المطبوع في السودان بعنوان (مأساة واق الواق)[٣] يتحدث الزبيري عن المناضلين اليمنيين في بورتسودان ميناء السودان على البحر الأحمر فيقول : « من هم الأحرار في المهاجر لو أسقطنا الأبطال الهاشميين منهم في الوطن أو

---

(٢) وثائق يحيى حسين الشرفي ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء .

(٣) محمد محمود الزبيري ، مأساة واق الواق طبعة ثانية دار العودة بيروت مايو ١٩٧٨م ، وتاريخ التأليف ١٣٧٩هـ .

المهجر خصوصاً في بورتسودان » . كما تكفل الشيخ الشرفي بتكاليف طبع كتاب (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن) لمحسن احمد العيني وتكون جمهور كبير من المهاجرين اليمنيين بالسودان لصحيفة « صوت اليمن » لسان حال حركة الأحرار حيث كانت تصل إليهم باستمرار وبكميات وفيرة من القاهرة . كما قامت في بورتسودان صحيفة أخرى ناطقة باسم الجالية اليمنية فيها هي « الأفق »[٤] وقامت مالية الجالية اليمنية بالسودان بالإنفاق على كثير من متطلبات النضال الوطني وتكفلت بنقل أولاد علي الوزير الى مصر بعد مجيئهم إلى السودان قادمين من عدن عند زيارة الزبيري للسودان .

بل إن الأحرار اليمنيين في السودان بزعامة الشرفي ويحيى اسماعيل الربيع وآخرين قاموا بمراسلة عدد من الشخصيات السياسية والدينية في الوطن العربي في ذلك الوقت امثال جمال عبد الناصر ، صلاح الدين البيطار ، سيد قطب ، محمد الغزالي ، محمود شلتوت ، سعود بن عبد العزيز آل سعود علاوة على اتصالهم المستمر بالأحرار في عدن ومصر وبريطانيا وبعدد من الشخصيات السودانية البارزة ، وفي هذا ا لاطار زار الشرفي القاهرة ممثلاً لأحرار اليمن في السودان ومنسقاً لنشاطاتهم مع فروع الإتحاد الأخرى .

ويذكر المعاصرون لحياة الزبيري المتقطعة بالسودان أن نشاطه السياسي المتزايد كان يواجه بمؤامرات مستمرة من قنصلية الإمام بالخرطوم وكانت إحداها الشروع في الاعتداء على الزبيري بجامع الخرطوم بحري ثم محاولة الاعتداء عليه في فندق البحر

---

(٤) نفس مصدر ٢ .

الأحمر خلال إقامته في مدينة بورتسودان عند زيارته الثانية للسودان برفقة أحمد محمد هاجي ، وهنا نورد وثيقة تتهم شخصاً يدعى « أبو حمراء » بمحاولة تنفيذ الجريمة وهي وثيقة ضمن وثائق المرحوم الشرفي :

حضرة صاحب السعادة السيد أمين أحمد حسين مدير الأمن العام .

نحن هنا نستطيع أن نؤكد أن هذه المؤامرة الدنيئة دبرت في الخرطوم عقب استجابة الحكومة السودانية لرجاء إبعاد ذلك الرجل عن السودان بما له من مكانة ولقد أرسل من الخرطوم من يقوم بتنفيذها بإيعاز من ممثل الحكومة المتوكلية صلاح المصري ، وكان على رأس هذه العصابة شخص يدعى أبو حمراء وهو طريد العدالة وحكم عليه غيابياً بشرق الأردن في جريمة قتل وقد أودى بحياة أبرياء كثيرين لأنه محترف للإجرام الجنائي ولا يعيش إلا عليه ثم سافر إلى الحجاز بطريق الأردن ليقوم بتنفيذ مؤامرة لكنه فشل وعذب ثم سافر إلى الحبشة ولم تقبله الجاليات اليمنية هناك لخطورته فعاد إلى اليمن وارتكب جريمة قتل غامضة فر على أثرها إلى السودان منذ سنة ١٩٥١م ، وصلاح المصري حل محل أحمد محمد باشا اغتصاباً مما جعل الأخير يترك العمل . . . هذه تفاصيل محاولة اغتيال الزبيري في بورتسودان أما أبو حمراء فإنه يتظاهر ببيع الصعود ـ التمباك ـ .

ويشير محمد عبد الوهاب الفاتش[٥] إلى وفود الإمام احمد إلى

(٥) أعداد من مجلة الوطن صنعاء .

السودان ومنهم محمد بن علي الزهيري وعلي محمد رجا وصلاح احمد المصري وأحمد محمد باشا ، وتشير وثائق الشرفي إلى زيارات ممثلي الإمام للخرطوم : يحيى الوادعي وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب .

وفي عام ١٩٥٩م وإبان حكم الرئيس السوداني إبراهيم عبود نجح أعداء حركة الأحرار اليمنيين في السودان بإيعاز من الإمام نفسه في إقناع الحكومة السودانية بإبعاد أربعة من الأحرار كمقدمة لإبعاد خمسة وثمانين منهم وإعادتهم لليمن بتهمة ممارسة نشاط معاد له في الخارج ، لكن التظاهرات اليمنية المآزرة بالتأييد الشعبي من السودانيين اضطرت وزير الداخلية السوداني إلى العودة عن قراره بإبعاد يحيى حسين الشرفي وقائد ناصر العماري وعبد الله غيلان احمد الخامري وسعد سعيد أنور المعمري وقيل انهم منحوا الجنسية السودانية عندئذ ، وقد صدرت جريدة الصراحة بالخرطوم يومئذ حاملة قرار وزير الداخلية بالعودة عن إبعادهم كما عارض وزير الخارجية السوداني المحامي احمد خير قرار الإبعاد وشاركت في التنديد به عدة اقلام وطنية سودانية كان منها عبد العزيز حسن ومحمد امين حسين ومحمد جاد كريم بجريدة الزمان السودانية ، ونشرت هذه الصحيفة شكراً من الزبيري ورفيقه احمد محمد نعمان للحكومة السودانية لعودتها عن القرار(٦) .

وقد كان للشرفي في السودان آراء وحدوية يمنية مبكرة فقد أدان السلاطين بجنوب اليمن لقبولهم الإتحاد مع الإنكليز في ما عرف

---

(٦) صحيفة الرأي العام ، الخرطوم ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٥٩م ، صحيفة الزمان ، الخرطوم ، ٢٨ ـ ٤ ـ ٥٩ و ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٥٩م .

باتحاد الجنوب العربي ، ولكنه ألقى باللوم على الإمام الذي لم يشجعهم على الوحدة الحقيقية . . ومنح الشرفي جنوب اليمن مقاعد نيابية في اقتراحه لتكوين مجلس نيابي خمسيني . ويذكر الأستاذ احمد الخزان ان الساسة المصريين كلفوه بمهمة جمع فدائيين يمنيين من السودان للقيام بعمليات عسكرية ضد المستعمر الإنكليزي في عدن خلال العدوان الثلاثي على مصر(٧) .

ومن الأحرار اليمنيين بالسودان سعد سعيد أنور المعمري صاحب البرقية الشهيرة التي وجهها إلى الإمام أحمد حميد الدين بمناسبة حريق مدينة الحديدة في ١٩٥٧/٧/٩ م وكان الإمام قد وصل إليها في ١٩٥٧/٧/٧ م .

صاحب الجلالة الحاكم الفردي إمام اليمن المحترم

لا شك يا صاحب الجلالة بأن مجيئكم إلى مدينة الحديدة كان سبباً لحريقها وكما يقال إنما الأعمال بالنيات وعليه لا يسعنا إلا أن نعزي الشعب اليماني المنهوب المنكوب .

وكان رد الإمام عليه :

من إمام اليمن المعظم أحمد بن يحيى حميد الدين إلى المعمري .

لعلك لا تعرف شيئاً ولهذا فإن شعبك يستحق التعزية لأنك منه .

---

(٧) أنشىء بالخرطوم مكتب لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل عام ١٩٦٦م وترأسه عبد الله حسن خليفة .

ويشير حسين محمد المقبلي[8] إلى أن حركة الأحرار كلفته مع أحمد الخزان بزيارة السودان لتجنيد عدد من المهاجرين هناك كنواة فدائية تقوم محل الجناح العسكري للحركة كما يشير إلى تساهل الحكومة السودانية في السماح لهما باستخدام إذاعة أم درمان للرد على الإمام احمد ، كما يذكر أن حكومة الإمام حرضت عبر ممثليها في الاسكندرية الرئيس السوداني اسماعيل الأزهري على أبعادهما عن السودان إلا أن ذلك لم يتم .

وختاماً فقد كان للشهيد الزبيري زيارة رابعة للسودان إذ يذكر السياسي السوداني الراحل محمد أحمد محجوب في كتابه (الديمقراطية في الميزان)[9] أن الزبيري حضر مؤتمر جبيت باركويت بشرق السودان في اكتوبر ١٩٦٤م للمصالحة الوطنية بين الفصائل اليمنية المتقاتلة آنذاك .

---

(٨) حسين محمد المقبلي ، مذكرات المقبلي ، دار الفكر طبعة اولى ١٩٨٦م دمشق .

(٩) محمد احمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، دار النهار بيروت ١٩٧٣م .

الفصل الخامس
أواصر الموسيقى والغناء
بين السودان واليمن

تقوم الموسيقى السودانية عموماً على السلم الخماسي - البنتاتوني - وتقوم موسيقى اليمن كغيرها من الدول العربية على السلم السباعي في الموسيقى . إلا أن هنالك واحات موسيقية في كلا البلدين لا تلتزم هذه القاعدة .

فقد ذكر الألماني هانز هولفريتز في كتابه (اليمن من الباب الخلفي)[1] التشابه الملحوظ بين نوع من انواع نشيد الزامل في اليمن والموسيقى البربرية في شمال أفريقية وأسقط ذلك على ما جاء به فان أورت في كتابه (الموسيقى المنغولية) وما تناوله كارل ولهلم لخمان (١٧٩٣ - ١٨٥١م) وإيريك فون هورن بوستل (١٨٧٧ - ١٩٣٥م) في هذا الصدد ، إذ يقول هولفريتز : « وقد أثار هذا التشابه الكامل بين موسيقى الشعبين وفنهم المعماري عدداً من الأسئلة حول ما إذا كانت موسيقى البربر وأهل اليمن ذات علاقة بموسيقى شعوب أخرى» . وقد أكد الاستاذ فون هورن بوستل وجود تشابه بين هذه الموسيقى مع الموسيقى المنغولية ، فدرجات الألحان

---

(١) هانز هولفريتز ، اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيري حماد دار العودة بيروت ١٩٨٥م .

الخمس الموجودة عامة في شرق آسيا تشبه إلى حد ما الألحان البربرية . والخصائص التي ذكرتها قبل قليل والمتعلقة بنشيد « الزامل » أشار إليها فان اورت في كتابه (الموسيقى المنغولية) واعتبرها من خصائص المغول . ويشرح هورن بوستل على الصعيد التاريخي الحضاري انتماء البربر وأهل الجنوب العربي إلى أصل واحد ينتسب إلى آسيا الشرقية فقال « انتقلت نفس التعابير الموسيقية من عصور ما قبل التاريخ من أواسط آسيا إلى الشرق بواسطة المغول وإلى الغرب بواسطة شعوب أخرى نطلق عليها الآن إسم البربر والعرب الجنوبيين وذلك إلى الأماكن التي يعيشون فيها الآن » .

وقد أوردت الفرنسية كلودي فيان في كتابها (كنت طبيبة في اليمن)[٢] اشارة مماثلة حيث تقول : « والزامل قديم وأصله غير معروف وهو كما يبدو شبيه بأناشيد الحرب المغولية ولم يفسر احد سر هذا التشابه العجيب » ، ولعل الاستاذ باتريك وايت كان تحت نفس التأثير عندما كتب عن تشابه الموسيقى اليمنية في نشيد الزامل وموسيقى المغول . ويشير الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في كتاب (قبائل المغرب) إلى احتمال انتقال السلم الخماسي من الهند إلى اليمن فشمال أفريقية عبر الصلات السياسية والتجارية . ويشير الباحث الفرنسي كريستيان بوخه وزميله الألماني يوخن ونزر بعد زيارة ميدانية لليمن عام ١٩٧٥ م إلى وجود الكثير من الألحان

(٢) كلودي فيان ، كنت طبيبة في اليمن ، تعريب محسن احمد العيني ، دار الكلمة صنعاء طبعة ثالثة ١٩٨٥م .

القائمة على السلم الخماسي في الموسيقى الدينية والعاطفية في اليمن .

ومن الثابت أن بعض الرقصات الشعبية في السواحل اليمنية التي وفدت على ما يبدو من أفريقيا تستخدم السلم الخماسي في موسيقاها ويتمثل هذا بشكل واضح في موسيقى رقصة الطنبرة التي تواكب حفلات الزار وهو ما أشار إليه المستشرق اندرسون باكول في كتاب (دراسات عن تهامة)[٣] والجدير بالذكر أن موسيقى الطنبرة او الطمبور من الموسيقات الشعبية الشائعة في السودان ، وكذلك يتمثل استخدام السلم الخماسي في رقصة الليوه في جنوب اليمن[٤] ، كما نلاحظ أثر النسوة السواكنيات في رقصة المركح النسوية في عدن .

وبالمقابل يتحدث بعض الموسيقيين السودانيين عن الأثر اليمني ممثلاً بقبائل جهينة في الموسيقى الشعبية بغرب السودان ككردفان فيتحدث الموسيقار السوداني الراحل جمعة جابر في دراسة نشرتها على أجزاء مجلة (الموسيقى العربية) عن تشابه الحان في غرب السودان مثل مارش البقارة و البريق الضواء مع الالحان اليمنية . كما يشير الموسيقار السوداني عبد القادر سالم إلى نفس الموضوع في دراسة اعدها لندوة عقدت حول ثقافة السلم الخماسي بالخرطوم عام ١٩٨٤ م ، ومن الأمثلة التي يقدمها أغنية « قل لمن مل هوانا » التي اوردها الشاعر اليمني احمد محمد الشرواني (١٧٨٥ - ١٨٣٧م)

---

(٣) فرانسين ستون ، دراسات عن تهامة ، لونجمان لندن ١٩٨٥م .

(٤) انظر دراستنا (الموسيقى الخماسية في الخليج واليمن) مجلة الوطن صنعاء ابريل ١٩٨٦م .

والذي عاش في مصر حوالى ١٨٠٥م وذلك في كتابه (نفحة اليمن) المنشور اولاً بالهند عام ١٨١١م والأغنية شائعة في اليمن ايضاً . ونلاحظ أيضاً أن اغنيات مثل اغنية « سرى الليل وأنا نايم » ورقصات وأزياء فرقة السماكة السودانية بشرق السودان تحمل بصمات فلكلورية يمنية .

وقد أنجب التزاوج اليمني السوداني في السودان ثلاثة من أهم الموسيقيين في سودان اليوم :

١ ـ ناجي الهيثمي ـ القدسي ـ وقد برزت موهبته في التلحين .

٢ ـ عثمان عبد الرحمن علي حسين اليمني وقد برع في الغناء والعزف على آلة الطمبور .

٣ ـ الطبيب عبدالله وهو مغن عاطفي مرموق وقد لحن قصيدة (إليها) للشاعر اليمني الراحل عبد الله حمود حمران ونشرت القصيدة ضمن ديوانه (أنا وقلبي)[٥] .

وأنجب هذا التزاوج اليمني السوداني في السودان أيضاً شاعر الأغنية المعروف حسين بازرعة .

وغنى المطرب السوداني حمد الريح قصيدة « مراهقة » من ديوان « على الدرب الأخضر »[٦] للشاعر اليمني الراحل لطفي جعفر أمان .

كما وضع الشاعر السوداني محمد احمد سوركتي ثلاث قصائد بالعامية السودانية عن اليمن ، أولها « هدهد سبأ » التي أهداها

---

(٥) عبد الله حمود حمران ، أنا وقلبي دار الكلمة صنعاء .

(٦) لطفي جعفر أمان ، على الدرب الأخضر ، دار المعارف مصر ١٩٦٢م .

للموسيقار السوداني بشير عباس والثانية « روعة تعز » التي لحنها على السلم الخماسي وغناها المطرب اليمني محمد صالح شوقي عام ١٩٧٨م ، والقصيدة الثالثة من غناء المطرب السوداني زكي عبد الكريم .

وفي فصل التجاني السيوفي عرضنا لأغنياته التي كتبها ولحنها في عدن خلال إقامته الطويلة بها ومنها أغنية « تخليت مدينة ام درمان » وأغنية « دنيا الغرام » .

وكتب الشاعر السوداني صلاح احمد محمد صالح مجموعة من القصائد في مطلع شبابه بإلهام يمني أسماه « عديلة » فغنى له المطربون السودانيون تلك القصائد أمثال «يا غاير علي وأنا هايم في دنيا هواك» لأحمد المصطفى و « انا المظلوم » و « نابك ايه من هواه» و «ليالي الغرام» و «حبيبي سافر ليه» و «يا عيون ابكي دمع الحنين» وأغنية « يا عديلة » التي صاغ لبنتها الأولى خليفة خوجلي وجميعها من اغنيات عثمان حسين وأغنية « يا مسافر » التي غناها سيد خليفة :

يا مسافر وناسي هواك
يا الفارقت ارض النيل
يرعاك الله يا ملاك

كما وضع الشاعر والملحن السوداني معتصم الأزيرق اغنية لليمن تقف عليها في معرض الحديث عن شاعرها .

وغنى المطرب السوداني صالح الضي اغنيتين من شعر الصحفي اليمني علوي الجبلي خلال وجوده في السودان ، كما يقوم المطرب السوداني محمد وردي بتلحين قصيدة « لشعبي هذا النشيد »

للشاعر اليمني محمد حسين الجحوشي .

وخلال اقامته باليمن قام المطرب السوداني هاشم عثمان محجوب بترديد الأغاني اليمنية وسجل شيئاً من ذلك لتلفزيون أم درمان في الثمانينات .

وقد وضع الشاعر السوداني محمد مجذوب علي عدداً من القصائد للغناء خلال وجوده الطويل في عدن ومنها أغانٍ للأطفال كما يشير عبد القادر خضر في كتابه (حوار في الفن والحب)[٧] ، فلحن له الموسيقار اليمني يحيى مكي « أغلى الهدايا » و « السهر بطال علينا » وغنى له المطرب اليمني الراحل حسن فقيه « لا تهملوا الأطفال » و « تسألني عن حالي » وغنى له المطرب اليمني محمد بن شامخ « وأنا الأمي ابصم » وغنى له المطرب اليمني احمد احمد قاسم « من زمان » .

ولحن المطرب اليمني كرامة مرسال قصيدة سودانية كتبها الشاعر إبراهيم الكامل محمد أحمد خلال إقامته بحضرموت هي نشيد « هتاف الطلائع العربية » .

ومن الألحان اليمنية التي صيغت على السلم الخماسي « قبل ما أحبه أنا ما شفت غير العذاب » لأحمد بن احمد قاسم وأغنية « هوه هوه » وأغنية « أحبك وأنت تتكبر » اللتان كتب الأخيرة منهما الشاعر اليمني قيس غانم نعمان وكلاهما من ألحان المطرب اليمني فرسان خليفة وهناك ألحان خماسية عديدة للفنان اليمني

---

(٧) عبد القادر خضر ، حوار في الفن والحب .

حسن غـازي بارحمـة . وقد قـام المطرب اليمني إسكـندر ثابت خـلال وجوده بـالقاهـرة بتلحين وغناء أغنيـة سودانيـة من كلمات الشاعر سيد عبد العزيز وألحـان الحاج محمـد أحمد سـرور هي « تذكر عهدنا الأول » . ويـذكر خـالد صـوري في كتابـه (خليل محمد خليل حياته فنه وعصره)[٨] أن الفنان اليمني خليل يتعامل مـع السلم الخماسي وتـذكر الفنـانة اليمنيـة فتحية الصغيـرة أنها تلقنت من معلمتهـا فوزيـة غانم العـديد من الأغـاني السـودانيـة وممن ردد الأغـاني السـودانيـة في اليمن المـطرب أحمـد قـاسم وأحمـد فتحي وأحمد العـدادي وأحمد الجبلي ومحمـد صـالـح شوقي .

---

(٨) خالد صوري ، خليل محمد خليل حياته فنه وعصره ، دار الهمداني عدن ١٩٨٤م .

الفصل السادس

نماذج أدبية من بقايا النغم

بقايا نغم هو الديوان الأول للشاعر اليمني الراحل لطفي جعفر علي أمان (٢٨ ـ ١٩٧١م) والذي صدر له في سبتمبر ١٩٤٨م عن مطبعة فتاة الجزيرة بعدن وهو بعد طالب في كلية غردون الجامعية بالسودان والتي أصبحت في ما بعد جامعة الخرطوم ، وهي الكلية التي التحق وتخرج بها أمان بعد إنهاء دراسته الثانوية بمدرسة حنتوب السودانية التي جاء للدراسة بها في ديسمبر ١٩٤١م .

وكان لطفي قد بدأ بنشر أشعاره قبل ذلك في بعض الصحف والمجلات مثل فتاة الجزيرة التي نشر فيها قصيدته الأولى خلال دراسته بالسودان وهي بعنوان (زهرة) .

زهـرة رفعها الفجر ونداها جمالا
داعبتها أنملات الفن فازدادت كمالا
قف تعبدها وخذها من صميم القلب زهرة .

كما نشر أشعاره في الأفكار . . . .
ما غايتي يا قلب في هذه الحياة وما المصير .
بان الشباب مضيع الآمال مجهول المصير .

كما نشر في فتاة الجزيرة (أنا حامي الضمير) و (ميلاد أفكار) . . . .

غردي يا طيور في رونق الفجر وهاتي الطلا بكاس نشيد

ونشر قصيدته (تحية السيف) .

ويحمل (بقايا نغم) إضافة إلى كونه شهادة نبوغ مبكر للشاعر . قوة تأثره برواد الرومانسية العربية : علي محمود طه ، إبراهيم ناجي ، الياس أبي شبكة ، صالح جودت ، محمود حسن إسماعيل ، بدر شاكر السياب ، أبي القاسم الشابي ، والشاعر السوداني الراحل صاحب ديوان (إشراقة) التجاني يوسف بشير . فقصيدته غناء متأثرة بجندول المهندس علي محمود طه ، ويقدم لطفي للقصيدة المكتوبة في ميناء السودان بوتسودان بقوله « وكان النيل مصدر إلهامي الفذ فسكبت فيه أول نغمة » .

أيها النيل لقد أنشدت حبي فيك شعرا

أي حسن عبقري فيك لا ينفث سحرا

موجة تغفو وأخرى لم تزل باللهو سكرى

وهنا حسناء تجري تحت ستر الزهر حيرى

وأنا المسحور ألقي الشعر في مغناك درا

قد سباني حسنك الريان من أول نظرة

فحسبت الشط دنا وحسبت الماء خمرة

وحسبت الزهر أحبابا أفاقوا بعد سكرة

فإذا بالشعر ينساب على واديك ثره

في نشيد عبقري قلته أول مرة

بل إن قوة تأثر الشاعر برواد الرومانسية العربية تصاحبه في مسيرته الشعرية في ما بعد ديوانه (بقايا نغم) فقصيدته «مراهقة» في ديوانه الثاني على الدرب الأخضر الصادر عن دار المعارف بمصر في ١٩٦٢م متأثرة بـ « لوليتا » نزار قباني ، وقد تحولت مراهقة الى أغنية سودانية للمطرب السوداني حمد الريح :

عندما كنت صبية
كان همي كل واجباتي المدرسية .
فكبرت وتفتحت لدنيا شاعرية .
صرت أستلقي وفي صدري ديوان غزل .
كل حرف فيه ما عاينته إلا اشتعل .

أما غلاف ديوان بقايا نغم وهو لوحة بريشة الشاعر تصور حسناء وحولها طيور وزهور وعود وكأس وكتاب شعر تظللها سحب لا متناهية فدليل آخر على إخلاص الشاعر لمذهبه الشعري .

وديوان بقايا نغم بل وبعض ديوان « على الدرب الأخضر » و « ليل الى متى » تحمل للقارىء بصمات سودانية مختلفة من وحي الصلة الوجدانية القوية التي قامت بين الشاعر وبين السودان والسودانيين عبر سنين دراسته الطويلة هناك ، ومن ذلك قصيدته (بنت الوفد . . الحرية) من ديوانه الأول والتي ألقاها الشاعر في الحفل السياسي الذي أقامه نادي اتحاد طلبة كلية غردون الجامعية بالخرطوم بمناسبة سفر الوفد السوداني الى مصر كما ورد في تقديم الشاعر للقصيدة :

مصر بكت والظلم في أضلاعها أدمى وأورى
وتلفتت كالطير هام فضل في مسراه وكرا
وشكت خلافاً نال من حكامها قلباً وفكرا
وهفت الى السودان قلباً يستفيض هوى وطهرا
كانت هي السودان والسودان كان لمصر مصرا
يا منية السودان غراء الجبين تفيض بشرا
كل القلوب تشوفت فرحاً تطالع فيك فجرا
ما أروع هذه الصورة الفنية لوحدة وادي النيل ؟

أما قصيدة بلا أمل من ديوان بقايا نغم فذكرى أيام بؤس قضاها الشاعر مع صديقه الحميم الشاعر السوداني محمد عثمان الجرتلي :

زورق أنت في الجود ولكن ضل ملاحك السبيل وتاها .
صرعته الحياة فوارة الغي وألقته في الشقاء قواها .
يقطع السير في فلاة من العمر تعرى من الرخاء ثراها .
خلفه الزورق المحطم والأمواج تلهو بما تبقي ذراها .
أنت ذاك الشريد في هذه الدنيا ولما عرفت فيها اتجاها .

والواقع أن لطفي في وجوده بالخرطوم كان وثيق الصلة بأدبائها كإدريس جماع وعبد الله الطيب ومحمد مهدي المجذوب وآخرين . . . وقد ذكر لي المجذوب أنهم عرفوا في لطفي عمق استماعه لشعر الآخرين. . ولكننا نعرف أن لطفي في ما بعد امتاز بحلاوة الإلقاء أيضاً . وبين كل هؤلاء ظل الطبيب والشاعر والموسيقي السوداني الراحل محمد عثمان الجرتلي أقربهم إليه وأقواهم تأثيراً فيه وظل الصديقان يتبادلان الزيارات بعد عودة

لطفي الى عدن حاملاً دبلوم التربية في يناير ١٩٤٩م كما يتضح من أشعار الجرتلي المكتوبة في عدن .

ولنستمع إلى صوت الناقد اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه (من البيت إلى القصيدة . . دراسة في شعر اليمن الجديد) يقول في هذا الصدد : « . . ومن المهم بعد ذلك أن نلاحظ أن دراسة الشاعر في السودان وفي الخرطوم بخاصة قد ساعدته على تكوين الوعي المبكر بأهمية الخروج على البناء التقليدي للقصيدة ، فقد أتاحت له الدراسة في مناخ الخرطوم الاطلاع على نماذج شعرية من الأدب الإنكليزي . ومن المؤكد أنها قد ساعدته على الوقوف على آخر الأساليب في الكتابة الشعرية ، وقد كانت الصلات الثقافية بين الخرطوم والقاهرة في الأربعينات أفضل منها في أي وقت كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات الأدبية . وكانت القصيدة التي لا تستطيع أن تتنفس بملء حريتها في القاهرة تذهب الى الخرطوم لتجد أكبر متنفس لها في صدور الشباب المثقفين وفي وسائل النشر المتاحة، وكان شعراء الموجة الرومانسية يتراجعون على شواطىء المدينة المثلثة ليأخذ مكانهم طلائع المد الواقعي » .

لكن شاعراً سودانياً آخر هو التجاني يوسف بشير كان أيضاً ممن تأثر لطفي بمنهجه وأسلوبه الفني فقد جمعت بينهما العواطف الحادة والمتقلبة بين الشعور بالموت المحقق والشعور بالفرح الشديد كما جمعت بينهما ملامح صوفية اكتسباها من التربة السودانية التي تمثل النزعة الصوفية في شعرها أقوى النزعات كما يجمع النقاد ، ولهذا نجد لطفي يتخذ من

« الصوفي المعذب » عنوان إحدى قصائد التجاني في ديوانه إشراقة عنواناً لقصيدة في ديوانه بقايا نغم يرثي بها روح التجاني يوسف بشير الطاهرة :

أنا هذا وأنت في القبر ثاوٍ لا شقاء ولا لهيب شكاة
كنت مثلي تضيق بالعالم الرحب وتهفو مسعر النفثات
كنت مثلي تعيش في عالم الروح ولكن بالدمع والحسرات
أين مني أنت ؟ وأين أنا اليوم ؟ كلانا في عالم الأموات
أنا سر في عالم الغيب مستعص عن الفهم جوهراً وصفات
أنا معنى مغلف في ضمير الدهر مستغلق لكل حصاة
أنا همس يذوب في صخب الأيام لو تسمع النهي كلماتي
أنا ناي السماء أنكره الفن فأضحى معطل النبرات
أنا في مهجة الشقي جراحات أفاقت مع الضنى داميات
أنا زهر يرف في الصخر ظمآن وري الزهور من عبراتي
أنا من يجحف الجمال مغانيه وروح الجمال من نفثاتي
أنا طهر يشيع في معبد الحب ويجبو القلوب بالرحمات
أنا فوق النهي فلم يدرك العقل مداي فحار في معجزاتي
قد تساميت في مدارج روحي في ضياء الإله أفرغت ذاتي

ومثلما نجد التجاني يهيم ببنات عيسى وبالجمال الأجنبي . . نجد لطفي يهدي بقايا نغم إليهن بمقطوعة تفعيلية هي الوحيدة في شكلها الشعري في الديوان . . . .

إليك يا ابنة عيسى / أنت يا من يفيض في صدرك البض جلال الصليب نورا عليا .

لك مني هذا الذي بين كفيك خفوق يحبك المفقود / نغم صاع
في مجاهل دنياك هياما / وجف إلا بقايا
فاذكريني بها / فيا رب ذكراك تعيد المفقود من دنياي / من أمان
أترعت منها شبابي .

وهو في قصيدته « ذات الصليب » يهيم بإيفون :

إيـه إيفـون والمـلاحـة تفتـر بـريقـاً كهـالـة البـدر منـك
نعم هـذا الصليب في صـدرك البض وجـل للمسيح في عينيك
الهـوى والشبـاب رفـا نـديـن كحلميـن عـابثين عـليـك
وأنـا لـو علمت في الليـل وحدي نفس ضيق وحـرقة ضنـك
أتـلقـاك في الـخيـال كـأني أتلقى المسيـح بين يـديـك

وهو في قصيدته « البولندية الحسناء » يهيم بهيدي :

أبيت الليل مشتـاقاً وأرعى نجمه سهدا
فجفن ما انثنى غمضاً وقلب ما خبا وجدا
هنا الحب لهيب من جوى الأنفاس لا يهدا
ألا أفديك يا هيدا وأفدي فيك بولندا

بل ويحمل لطفي هذه الذكريات إلى وطنه كما تعبر هذه الأبيات من قصيدة كتبها الشاعر في زيارته لمدينة بخت الرضا التعليمية بالسودان في الستينات ونشرها في ديوانه الثاني (على الدرب الأخضر) :

وعـدت لـوحـدي بصمت انطوائي الى النيـل أهـرق فيـه أسـايـا
ولي فيـه عهـد شجي الغنـاء سـرى نغمـاً ضـاع إلا بقـايـا
تغني الضفـاف لقلبي الحزين أهـازيج من ذكـريـات صبـايـا
هنـا وهنـا أي ذكـرى تثـار تجـول بـأطيـافهـا مقلتـايـا

ترى هل شهد ملتقى النيلين هذا الحب الجارف بين يمني وبولندية في الأربعينات حقاً ؟؟

والواقع أن في ديوان (على الدرب الأخضر) أكثر من قصيدة مكتوبة في السودان منها . . حنين ونجوى وهما رسالتا شوق لزوجته فوزية في عدن كتبتا في الخرطوم وبخت الرضا في عام ١٩٦١ م .

وهناك قصيدة بعنوان فوزية كذلك في ديوانه الآخر (ليل إلى متى) الذي صدر عن المكتب التجاري ببيروت في أكتوبر ١٩٦٤ م .

ويستمر لطفي على حبه لذات الصليب في قصيدة بعنوان « رسائل عتاب منها » يقدم لها بقوله « إلى ذات الصليب بعد خمسة أعوام من عام ١٩٤٩م » :

اتركيني أمضي خيالاً شريداً في فجاج الذكرى ووادي الموت .
مثقلات خطاه عبر الدياجي .... قيودها في صمت .
والفضاء المديد ينفر منه وهو يشدو في تيهه أين أنت؟
آه يا ليت يا حبيبة ما كنا ولا كنت للهوى أو كنت .

أما في قصيدة « صوتها » فيقدم بقوله « إلى ذات الصليب بعد عام من سنة ١٩٤٩م » :

من بعيد / من فم الأمس الشريد .
صوتها المحموم في الليل الوئيد .
يا له أروع من حبي وإيماني العتيد .

أي عمق ؟ أي أصداء بإحساسي تميد .

غير أن (بقايا نغم) و (على الدرب الأخضر) وباقي دواوين لطفي لا تضم كل شعره المكتوب في السودان . فكثير من هذا الشعر نشرته له في أعدادها المختلفة مجلة الأفكار العدنية التي أنشأها آل لقمان . وفي العدد التاسع الصادر بيونيو ١٩٤٧ م نشر لطفي قصة واقعية لفتاة سودانية هي قصيدته المنتحرة :

والريح تدوي بأنات مروعة ويملأ الجو بالرمضاء سافيها
وليلة كقتام البؤس حالكة تنفس الكون قسراً في دياجيها
جنت على غادة أودى بها سغب الفقر يدهمها واليأس يضنيها
وكم تمد إلى الأيام في مضض كفاً ولكنها لم تلق معطيها
أتقحم الفسق تشقى في سعادته لتشبع النفس في دنيا ملاهيها

وفي قصيدة (أفكار مضطربة) التي كتبها أمان من المستشفى بالخرطوم حيث بدا فيها يعاني غربة الزمان والمكان وبدا يأسه من الحياة في قمته :

وأنا كالقفار يظلمها الغيث ويحنو على الربا والجنان
ضامر يسلب التعلل أفكاري ويلهو السقام في جثماني
قد ذوى عودي النضير فتعساً لشباب يجف قبل الأوان
وإذا بالصديق ينكر ودي ويجازي الوفاء بالنسيان
أنا وحدي شقيت بعد نعيم لم يدم في الحياة إلا ثواني
في ربى النيل في بساط من الزهر بديع منضر الألوان
طال شوقي إلى الديار وكم في القلب من نزعة إلى الأوطان
حيث ألقى سماحة الأهل والجود وود الصحاب والخلان

وأبي جعفـراً سليـل المعـالي والعـوالي وفخـر آل أمـان

كما نشرت الأفكار مراسـلات شعريـة بين الشاعـر والشاعـر اليمني محمد عبده غانم الذي قدم لديوان (بقايا نغم) ومن هذه المراسلات قصيدة (عنِّ يا صاح غنِّ لغانم) التي صـارت في ما بعد أغنية بعود الفنان اليمني جابر علي أحمد :

يا صديقي لا تضيع فرصة الليل الجميل
يا صديقي ليس عمر الليل بالدهر الطويل
يا صديقي سوف نبكي الليل جيلاً بعد جيل
يا صديقي إن يمت أواه من هم ثقيل
فاغنم الليل وغني

وقد ضم غانم القصيدة إلى ديوانه الأول (على الشاطىء المسحور) الذي صدر عن دار فتاة الجزيرة بعدن في ١٩٤٤م ، ورد أمان على القصيدة بقصيدته (غناء) التي تقدم ذكرها.

ويشير الشاعر محمد عبده غانم في قصيدته (في السبعين) والمنشورة بمجلة الشعر القاهرية بتاريخ يناير ١٩٨٤م إلى تلكم الأيام الماضية ، كما يشير الى صوت يمني آخر كان للسودان نصيب من شعره هو الراحل عبد الله حمود حمران :

كم لصـوت اليمن الشـاعـر في السـودان شعـر
بين حمـران ولـطفي كم لنـا في النهـر بحـر

ويقول الناقد علوي عبد الله طاهر في كتابه (لطفي أمان دراسة وتاريخ) الصادر عن مؤسسة ١٤ أكتوبر بعدن عام ١٩٨١م إن لطفي بدا متأثراً في قصيدته (على أرضنا بعد طـول الكفاح)

التي ضمها إلى ديوانه (إليكم يا إخوتي) الصادر عن المكتب التجاري ببيروت في يوليو ١٩٦٩ م بالشاعر السوداني محي الدين فارس ، حيث يقول لطفي :

لقد هب ردفان في ثورة يخلدها عيدنا الأكبر .
وينثرها فوق كل الجنوب ضياء سخياً لأول مرة . . بلادي حرة .
ويقول محي الدين فارس في قصيدة له :
لأول مرة أحس بأني حر وأن بلادي حرة

وختاماً فإن شبهاً آخر بين لطفي والتجاني والمهندس والشابي وكيتس وشيلي وبيرون وغيرهم من شعراء الرومانسية هو النبوغ المبكر والرحيل المبكر أيضاً . . وقد مات لطفي في أربعينياته وكأني به في « الصوفي المعذب » يبكي نفسه :

أنا إن مت فالتمسني حياً في ثنايا السطور من أبياتي
أنا إن مت فالتمسني في كل فؤاد معذب الآهات

كسلا . . عش العصافير الزغب

كتبها الشاعر اليمني سعيد الشيباني في كسلا عام ١٩٨١ م

خفق القلب في اخضـلال اللسـان لمن أسلمت لـ(البـراق) عنـاني
من قـرى في (عرام) من كـل نبض تاه عن قلب بلدتي وعيـاني
كسـلا النبع والحـدائق نشـوى والسـواقي تؤتي القـطوف دواني
فتحت بـابهـا لتصبـح داراً للعـصافير هـاجـرت من يمـاني
إيـه سـودان والسـواد بيـاض مستثيـر قـاصيـك يحضن داني
عـروة الحب خـرطـوم مهجتي وثقي كسـلا فيـك قبلتي وأذاني
يـا ربـاعيـة الحـروب تجلت كسـلا الاسم فـاق كـل بيـان
إيـه سودان دفء شمس ضيـاء في حـروف المجـذوب والتجـاني
والنـدامى الـرفـاق أين بشيـر تـاج سـر جيلي ولـطفي أمـان
أيهـا القـاش فيض فيضـك عـذب خمر مـاء الحياة حبـاً رواني
كسـلا اللحن والبـلابـل تشـدو وسط قلبي صبـا نشيـد الأمـاني
عشت يـا مـربى الصبـا لحبيبي كسـلا خيـر أمـة ومكـان

وللشاعر قصيدة أخرى حول الفيضانات والسيول التي اجتاحت السودان في عام ١٩٨٨م ، نقتطف منها :

فيما هنا صنعاء تستسقي نهار الغيث تطلب بالصلاة .
من رب كل الناس ما يهب الحياة .
شرباً وتطهيراً وري .
لكل حي .

في الكون إنسان وشي .
كانت هناك مدائن السودان تضرع بالصلاة .
لله - كي عنها ومن فيها وما فيها حياة -
الغيث يرفع قبل أن يغدو الفناء .
حتماً هو القانون والحكم القضاة .
يا سخرة الأقدار بالمتناقضات .

والقصيدة بعنوان « يموتون ظمأ في فرات » .

محمد مجذوب علي

أول مجيئه من السودان الى عدن في نوفمبر ١٩٦٠م حيث عمل بحقل التربية والتعليم فيها زهاء ربع قرن وأسهم في الحياة الأدبية في عدن أيما إسهام . كرم بعيد العلم في سبتمبر ١٩٨٤م ونال ميدالية المعلم النموذجي . وكرمته وزارة الثقافة واتحاد الفنانين في مارس ١٩٨٥م ونال ميدالية محو الأمية الذهبية . لم يصدر شعره حول اليمن في ديوان وإنما في صحف متفرقة ومن أشعاره :

كم لك يا غريب

وتسـألني نحلت غـزاك شيب فكم لـك بيننـا كم يـا غـريب
مـن السلطان والـوالي إمـام ومـا زالـت خيـامي يـا حبيب
بهـذا قـد أجبت فهـاك لـومي تقـولين الغـريب أنـا غـريب
نـداء غـاص في قلبي حسامـاً عـذابي طـال إن جـرح الـطبيب
غـريب بعـد طـول المكث مـاذا غـريب فيك يـا يمنيٌ غـريب
أتيتـك والشبـاب الغض تـاج وهـا أنـذا رهينـك يـا مشيب
أتـيت وسـادتـي نيـلي وشعـبي وأرض الـبن لـي مهـد رحـيب
أتيت مخيـراً فـأقـمت عـشقـاً أمـن فـرح دمـوعي والـنحيب
تمـازجت العنـاصـر صـرت ثـدياً هنـاك عـروقـه وهنـا الحليب
وطـالت حيرتي في أمـر ذاتي أردد من أنـا ؟ هـل من يجيب
بـذلت ومـا بخلت عـطاء حب يشـد سـواعـدي واد خصيب

ولا أدري فجهل الغيب علم نعم لو عشت هل سهمي يصيب

وهل بلقيس إن كلت ذراعي سترعاني وإن خطوي دبيب

ونهر النيل لم يرَ فيض نيلي فكيف الحال والقاع الجديب

ولست أطيق غيرهما مكاناً وإن أوذيت ضربهما زبيب

أراك وقد « هدرت » فدتك روحي أتسمعني فلي هدف عجيب

مجاملة نطقت القاف غيناً كنطق النيل نطقك يا لبيب

مداعبة تسرك خاب ظني دروب الخير في شرعي تخيب

و«ذاسمي» و«راس أبي وأمي» و«يفدوبي فدى» قصدي قريب

أأنت تكون مفترياً و« هذي » بلادك أنت لي فيها نصيب .

نوفمبر ١٩٨٢م

طلقت ظني

عقلت مطيتي طلقت ظني وكنت مغادراً والكعب حافي

ظننت وإن بعض الظن إثم وكفر إن بدا والخل وافي

ظننت البن يجهل طيب زرعي وطول المكث ضايقه طوافي

وأروى لم تعد قلباً حنوناً لها حبي ولي منها التجافي

فبحت إليك يا يمني لأني إذا أخفيت هل أنا عنك خافي

فشق على بناة السد قولي أبعد الصمت كيف علا هتافي

فشرف بعضهم داري وبعض يهاتفني فهذا الحب كافي

وجاء الفيض تكريماً عظيماً خلقت الآن لي عمراً إضافي

فيا ظني وكم خابت ظنون أخيرك لي أنا تلك الفيافي

وداعاً ليس يعقبه لقاء وبيناً لن يقربه تصافي

ويا بلقيس عفوك اعذريني فنثري عاجز وكذا القوافي

للكعبة سد يحميها

مستوحاة من حوادث السيول والتخريب التي اجتاحت اليمن الجنوبي . . .

جدران الكعبة داهمها أبرهة الأشرم والسيل .
لتعود الجنة ثانية أكلاً خمطاً أثلا سدراً لتعود الهجرة والتفريق .
عبثاً فالمؤمن لا يلدغ من جحر الغدر كذا مرة .
والهجرة قد بلغت حداً « لا هجرة من بعد السد » .
فالسد هنا شعب نجمه والكعبة ذي وطن نحميه .
وجراح السيل نضمدها للأشرم طير ترميه .

وداعاً وسلاماً

فوداعاً يا يمن . . . بعدما قد عشت فيك .
ربع قرن يا يمن . . . ربع قرن في اليمن . . . ربع قرن لليمن .
يافعاً قد جئت مختاراً محباً .
فأنخت العيس ألقيت العصا .
طاب لي العيش فعشت .
وغزاني الشيب صادتني المحن .
بيد أني يا يمن نلت منك الحب والتقدير لي صرت الوطن .
فوداعاً يا يمن . . لست أهوى البعد لكن .
يفسد الماء بطول المكث حقاً . . كل في مائي الأسن .
وسلاماً أيها النيل ومهلاً . . لا تمل وجهك عني .
لا تعاتبني فإني . . كان بالإمكان أن .
كان أما الآن لن . . ليظل البحث عن . . كيف ؟ لا بد ومن .

وسلاماً أيها النيل ومهلاً .
لك باقي العمر ما أغلاه .
لو . . . .
لست أرجو منك شيئاً غير لحد وكفن .

عدن مارس ١٩٨٥م

وقد أغنى محمد مجذوب علي أغنية الطفل في عدن بأشعاره كما أشار عبد القادر خضر وعلوي السقاف في كتاب (حوار في الفن والحب) ، كما لحن له الفنانون اليمنيون الكثير من قصائده للأطفال وقصائده العاطفية أيضاً ومن ذلك (أغلى الهدايا) و (السهر بطال علينا) ليحيى مكي و (لا تهملوا الأطفال) و (تسألني عن حالي) للمرحوم حسن فقيه و (وأنا الأمي أبصم) لمحمد بن شامخ و (من زمان) لأحمد أحمد قاسم .

كما أسهم في خلق الكثير من الروابط الثقافية مع أدباء اليمن ومن ذلك مقالته (قلوبنا مع الدرب الأخضر)التي وجهها للشاعر الراحل لطفي أمان وقصيدته (سنمار الجديد) التي أهداها للأستاذ سمير محسن شيباني .

التجاني السيوفي

السادس من أبريل ذكرى رحيل الفنان السوداني التجاني السيوفي الى عالم البقاء ، والكبار فينا يذكرون هذا الفنان لأنهم عاصروه عندما كان في بداية حياته الفنية الى أن غادر السودان عام ١٩٤٣ م إلى ارتريا في بداية رحلة طويلة مع الحياة انتهت به آخر المطاف في عدن . . ثغر اليمن الضاحك للمحيط وهناك قضى آخر سنينه وتوفي ودفن .

والدارس لحياة السيوفي يجد نفسه أمام شخصية متنوعة المواهب. فالسيوفي ملحن مقتدر ما زالت ألحانه بيننا حتى اليوم لجودتها التي لا تبلى مع الأيام وإنما تزداد شيوعاً كلما هبطت وتلاشت من حولها الألحان الموسمية . والسيوفي شاعر وإن كان معظم شعره ظل في أضابير مذكراته ولم يخرج منه للناس شيء إلا بعض ما لحنه وتغنى به نفسه . والسيوفي رجل وطني له مواقف وطنية داخل السودان وخارجه ولم يقتصر على الأغاني الوطنية الهادفة وإنما تعدى هذا الى المشاركة الفعلية في مقاومة الاستعمار ومد يد العون للحركات التحررية في شرق أفريقيا . أما مهنته التي ظلت صنعته الأولى فهي النجارة وصناعة الأناتيك ، فقد عرف بأن له أنامل ذهبية في هذا المجال .

البداية : نبغ السيوفي مبكراً وكان من أوائل من سجل للإذاعة السودانية وغنى للشعراء فلاح وعبد الرحمن مكاوي وإسماعيل خورشيد . وقد عرف عنه سرعة التلحين لدرجة الإذهال

فكان أن لقب بأكسبرس الفن في الأربعينات .

هجرته : لا شك أن السيوفي ترك وطنه طويلاً وبدأ يضرب في أصقاع شرق أفريقيا لأسباب حتمت عليه ذلك . وإذا تجاوزنا الدوافع الاجتماعية لذلك نجد دافعاً قسرياً هو مضايقة الاستعمار الإنجليزي له بعد أغنيتين وطنيتين له هما (نحن السودان يا بلدنا ونحن فيك اتولدنا) و (طال الليل للمسافر وأصبح ماليهو آخر) .

وقد بدأ السيوفي رحلته في مطلع الأربعينات بأرتريا وتدل مذكراته عن تلك الفترة على أنه زامل الفنان الراحل سرور في تلك المنطقة في ذلك الزمان . ونعرف أيضاً أن عمله بالنجارة هناك ازدهر كثيراً فكان أن أصاب أرباحاً مالية لا يستهان بها . لكن ذلك لم يشغله عن أن يرفه بين الحين والآخر بأوتار عوده عن الضباط والجنود السودانيين في المعسكرات في ذلك الوقت الذي كانت الحرب العالمية الثانية خلاله تقدح بوابل لعناتها وشبح رصاصها الذي حصد الآلاف . كما أنه انتهز فرصة وجوده هناك فتعلم الصومالية والأمهرية وغيرهما من اللهجات المحلية، وتغنى بأغاريد وأغان بهذه اللهجات ونشر الأغاني السودانية كثيراً في شتى مناطق أثيوبيا وبينها أغنية في هـواك ـ رائعة الخليـل التي ما زال الفنـان الأثيـوبي الكبير تـلاهـون يتغنى بهـا حتى الآن . ومن بعـده كـل موسيقيي أثيوبيا الشباب الذين نقلوها إلى القارة الأمريكية . وعبر السيوفي ارتريا الى جيبوتي أو الصـومال الفـرنسي حينئذ واستقـر بها وكان أيضـاً جسراً فنيـاً بين الأغنية السـودانية وشعب جيبـوتي الذي بادله حبه ، وكـان السيوفي رئيسـاً لأول جاليـة سودانيـة في

الصومال . إلا أن معرفته الحميمة بالزعيم الوطني الصومالي الطيار محمود حربي التي كانت علنية ودوره المتعاظم في حركة التمرد على الاستعمار الفرنسي في المنطقة قد جنيا عليه كثيراً لا سيما عندما اغتيل حربي في كمين . ولم يثنِ السيوفي عن مواصلة كفاحه إلى جانب الوطنيين الصومال ومدهم بالمال والسلاح ، وهكذا انتقم المستعمرون من السيوفي بأن صادروا جميع ممتلكاته الواسعة وأجبروه على مغادرة البلاد إلى عدن التي كانت هي الأخرى ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني لجنوب اليمن . وفي عدن استقر السيوفي منذ أواخر الخمسينات وحتى وفاته في أبريل ١٩٧٦ م عندما عادت زوجته وابنه وابنته الى السودان التي طالما اشتاق السيوفي لعودته إليها .

وفي عدن كان السيوفي يمر بأزمة مالية نتيجة مصادرة كل ممتلكاته في جيبوتي . . ثم لعاطفته الملتهبة وحساسيته المفرطة التي ازدادت بإبعاده عن البلاد الصومالية التي أحبها الى عدن . فكان أمام السيوفي أن يعود للعمل بالنجارة ويعيش حياة أقل رفاهية من تلك التي عرفها في شرق أفريقية ، إلا أنه ظل من أعلام الأسرة السودانية في عدن يأتي إليه كل السودانيين فيجدون عنده كل الحب والترحاب . زاره في غربته الفنانون محمد وردي وإبراهيم عوض وصلاح ابن البادية والموسيقار حسن خواض والدكتور حمد حامد النقر والشاعر تاج السر الحسن والدكتور حسن خليل والعم عبد الكريم القرني وعبد الله بكري والشاعر سيد أحمد الحردلو ومحمود عبد القادر والشيخ موسى ومبارك فضل الله . لكن الواضح أن نشاطه الفني بين الأهالي هناك لم

يذع كثيراً كما حدث في غير عدن وإن كانت نفسه السمحة المرهفة قد جذبت اليه العديد من اليمنيين من سكان حيه وفيهم بالطبع من كانت له مع الفن صلات وحكايات . وفي هذه الفترة ظل الأمل يراود السيوفي بالعودة الى أم درمان مسقط رأسه فهو يقول في إحدى قصائده :

تخيلت مدينة أم درمان وتذكرت الشعرا والكروان
بالعودة لي يارب وتجمع شملنا يا زمان

ثم ها هو في أغنيته « دنيا الغرام » يحن لوادي النيل وخضرته التي تشرب منها بأعذب الألحان وأجمل الأنغام وإن كان لا ينسى أن يشيد بالمجتمع اليمني الذي احتضنه وأسرته لسنين طويلة بكل الترحاب .

وقد عرضت مجلة الإذاعة والتلفزيون الخرطومية في بعض أعدادها شيئاً من مذكرات السيوفي في تلك الفترة من حياته وغيرها وإن كان من الجلي أن عنفوانه جعله يرفض أن يعود الى السودان إلا وقد عاد وحقق من المال ما قد يبرر غربته الطويلة عن الوطن .

أشهر أغانيه : غضبك جميل زي بسمتك / غزال البر يا رافل لأحمد إبراهيم فلاح / الدنيا حظوظ لعبد الرحمن مكاوي / ليالي عودي تاني / يلاك يا عصفور نغني ليك / الندامى / عايز أنسى الأمس . وقد تغنى له الفنانون حسن عطية / بادي محمد الطيب / عبيد الطيب / الحاج عبد الحميد / الخير عثمان / علي إبراهيم / مصطفى سيد أحمد .

ملاحظات : والواضح أن لهجة التجاني السيوفي وكلمته

البلدية السودانية ولونية ألحانه لم تتغير عبر عشرات السنين من غربته الطويلة فالرجل ظل معتزاً بسودانيته الى أقصى الحدود ، ويذكر أخوه عبد اللطيف عنه أنه حاك لكل سوداني في جيبوتي يوم استقلال السودان طاقية من ألوان العلم السوداني فارتداها كل السودانيين هناك بهجة باستقلال السودان . وقد كان أخوه عبد اللطيف أكثر الناس إصراراً على عودة التجاني الى السودان حتى دون أن يحقق المال الوفير الذي كان التجاني قد قطع على نفسه وعداً بأن لا يعود إلا وقد جمعه لنفسه وأسرته . وفي قصيدة « ذكرى عدن » لعبد اللطيف السيوفي نبضات من تلك المشاعر التي كتبها من وحي زيارته لأخيه في عدن أكثر من مرة :

عدن حضنت النيل وابن النيل عز النيل فخر النيل كالبركان ثائر .
يشدو على الوتر المرنح مرسلاً نبضات قلب موسقته يد المشاعر .

وقبل أن نختم رحلتنا في سحارة السيوفي نشير إلى أن قصيدة الصخرة من كلمات مصطفى عبد الرحمن التي لحنها الفنان السوداني العاقب محمد حسن هي أيضاً إحدى ألحان الراحل السيوفي .

نثرية الى ناجي الهيثمي الإنسان الفنان

حفرت في عين الزمان قامتك .
أكف الملائكة كل يوم فراشك .
ودمك ممزوج بدموع العشق .
وفي لفح شمس القحط .
يستظل المبدعون تحت لحيتك الكثة .
وبين ضفائر عمامتك الملونة .
نهر يسقي ودياننا العطشى .
زفراتك تصعد الى السماء .
كلما غنيت تكون غيمة بأثداء ترضع الأطفال حب الوطن .
وريشتك جسر نمر منه إلى أرواحنا .
وإلى عقولنا أنت الوسيلة للوصل .
قدمت الينا وبساطك قوس قزح .
مثقل بهموم البلابل .
ما عسى أفعله لك .
سوى أني أعصر الدهر وأهديك ربيعه .

للفنان اليمني عبد الرحمن الغابري .

تحية الى اليمن الموحد

في الهوى صرت يماني .
وشباب اليمن الناهض في الحب رماني .
وبأنفاس الأزاهير ومعسول الأغاريد وشلال التواشيح سباني .
ثورة اليمن الوثاب ضاءت بكياني .
ادكارات وآهات وآمالاً ورقصات افتتان .
ذو يزن عاد جديداً وبزنديه احتواني .
كلما قلت له هات اسقني من قدح الثورة أنخاباً سقاني .
قصر بلقيس غدا حقلاً لمحزوني الأسارير وزراع الأزاهير وعشاق العصافير لأطفال حسان .
اليمن عاد سعيداً وتحلى بالأغاني .
وغدا يغدو بشقيه مناراً للزمان .
وجناناً للمظاليم فؤاداً واحد الخفق اشتراكي المعاني .
وعدن ترسل من صنعاء للخرطوم باقات التحارير وشارات المشاوير وصيحات الشحارير وصندوق الأماني .

للشاعر السوداني معتصم الأزيرق

هذه بعض مقاطع القصيدة التي لحنها شاعرها وغناها أيضاً .

ابراهيم الكامل محمد أحمد

عمل مدرساً بحضرموت بعد قدومه إليها من السودان عام ١٩٧٠ م وكتب في إقامته هناك عدداً من القصائد منها (هتاف الطلائع العربية) التي غناها الفنان اليمني كرامة مرسال، و (صدى أكتوبر) و (الاختبار من دمشقية فرعاء) من وحي منطقة فوه وهي ضاحية من ضواحي المكلا بحضرموت ، وغيرها من القصائد باللهجة السودانية . كما أسهم في الحركة المسرحية المدرسية .

الاختبار من دمشقية فرعاء

أهديك روحي زهرة من «فوه» يا مسحة الضعف وكل القوة
ومزجة الجبن، مع الفتوة إليك قلبي هاكه تعالى

يا ومضة الحنين يا خيالا ونبضة الجنين في الحبالى
هيا أقليني ناحتاً مثالا لشفق لاذت به الليالي

يا منهلاً تعشقه الغواني ونغماً فاض على ألحاني
هجرت ليلاً ببدر القباني لتنزعي الثبات من أوصالي

كراحة الإيمان للحيارى وواحة الهيمان في الصحاري
الروح لا ترضى الهوى ازراراً والراح لا تغني عن الزلال
ولكن للمحصنات التوق كالتنميل مدمر كالخمر في الثميل
فلنوص بالمقسوم لو قليل ولنمض أنداداً بلا اعتلال

والمال من منارك الفينيقي والنحل من مزاري الافريقي

والعسل الشقاب من طريقي   لو تسمح السماء بالمحال

فويل من يستلهم انفصاما   لتغرز الامارة انتقاما
يستولد اطمئنانه أوهاما   تفلسف الحرام بالحلال

شريان فينوس بنسل أروى   ليس الغناء للطلول شدوا
فلنفترق قبل فوات الجدوى   مداركم ما عاد في مجالي

ولنلتزم أقطابنا يا أنت   ولنعتصم لا هنت لا أهنت
كاد الخيال قبل إذ هتنت   يأتي على براعم الخلال

ولكن لأرضنا وشعبنا علينا   قضية تضيع تنهار لو نأينا
إطارها الوحدة ما حيينا   فلنعتنق في ساحة النضال

المكلا فبراير ١٩٧١م

مهدي محمد سعيد

من قصيدته (تحية السودان لليمن السعيد):

حنيني في الحياة وحر وجدي إلى الصيد الكرام بناة مجدي
ربا كهلان ذي القدح المعلى ومثوى حمير الرأي الأسد
أقاموا سد مأرب من زمان فكان عجيبة الذهن الأحد
بني قحطان والدنيا كفاح مسخرة لذي أيد وجلد
فمنكم شاعر الفصحى ابن حجر ومنكم فارس الجلى لابن معدي
وما لانوا ولا خارت قواهم أصالة يعرب ووفاء ازد
ابت بلقيس ان يسبى حماها فلم تعبأ بجيش أو تعدي
ولم يجرؤ عليها غير جن ذوي علم وإنجاز ووعد
سلاماً يا ابنة الهدهاد حيا ديارك من بني السودان مهدي
أيا صنعاء جئت إليك شوقاً يغالبني مع التحنان وجدي
من السودان قد خفت ركابي ووافت بي إلى لقياك تخدي
ألا لا بد من صنعاء أنى نجد وإن تحنى كل عود
أرى اليمن السعيد من قديم ديار محبة وربوع سعد
ونعرف أهلها في كل صقع من السودان هم إخوان حد
أحبوا شعبنا فسعوا إلينا وصافيناهم وداً بود
وهم نزلوا الربوع بكل خير نزول الغيث سح بغير رعد

ومن قصيدته (صنعاء): -

هذه صنعاء أم العرب هذه صنعاء مهد النجب

قبلة الشرق الذي تلقى بها عزة النفس وحسن الأدب

وبدت «حدة» في رونقها وتعرت من قيود الحجب

وصحا الشاعر من غفوته ذاهلاً في فكره المنتهب

صدق الطرف فهذي حدة هبة الرحمن للشعب الأبي

يا جبال الفخر غني هذه صنعاء مجد العرب

ومن قصيدته (تعز):

ولاحت تعز وأضواؤها دهور الجبال بها تحلم

تعزّ تعز على أهلها وكل بها نابه معلم

أحب تعز وروحي لها وما لامني في الهوى اللوّم

والقصائد الثلاث نشرت في ديوان (الطين والجوهر) للشاعر في عام ١٩٧٩م عن المجلس القومي للآداب والفنون بالخرطوم.

موال أم درمان

قيلت في زيارة الوفد الأدبي السوداني في يونيو ١٩٧٦م لليمن ونشرت بالجمهورية في ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ م:

يا أم درمان على صنعاء شعرك تدفق.
يعيد لآهاتنا زمن جرير والفرزدق.
والنيل بأسماعنا جرس مقفى مموسق.
وأسقانا أحلى الكؤوس من النبيذ المعتق.
أدارها الماهرون من الأبيض والأزرق.
وشاهدوا شعبنا بالنفط كيف يحرق.
ومن رماد الحريق كيف من جديد يخلق
على القيم قد تربى ما غيرها يعشق
ولا قبل مرتزق ولا تدنى لأحمق.
يا أم درمان لكن فين زهور جيلي؟
وعاشق أفريقيا.
حامل هموم جيلي.
لا تعتبي من سؤالاتي.
أنا مش فضولي.
أنا بحبك وتشهد لي.
مواويلي.
وأردد عدد خيوط مناديلي.

محمد الفتيح

الخرطوم وبشارة حدام اليمانية*

نصبوا مغاني الروم في الخرطوم فصبا الفؤاد إلى مغاني الروم

وتصببت قسماً عيوني كلما أضنى دموع العين طول سجوم

والله لو سدموك في قعر الدجى أو قاع بحر الصين يا خرطومي

ما غبت عني والهوى يبقى الهوى مكتومه أطرى من المعلوم

صرموا حبال الوصل دون روية فغزلتها من لوعتي وهمومي

ووصلت ليلات النوى أشكو النوى للقات أو للعاتق المختوم

وأهز قلب الغيل في سكر المنى متخفياً كالعاشق المهزوم

يا غيل يا مغنى الصبا أين الصبا يبكي على قطر الندى المسموم

شاب الزمان فقال قول خرافة وأرى الحجى في لثغة المفطوم

أين الأولى خطفوا نجوم سمائهم ليفيق ليل العيد تحت نجوم

أمحت رباك ربوعهم ووشومهم وتنكرت لخؤولة وعموم

يا خيمة سمراء في سمر الربى علقت في أوتادها منظومي

زفي دوا بيت الرجاء إلى الدجى فالعين ترجف للدجى المحروم

ستشهد سد الزيف فأرة مأرب وتزغرد الأحقاف للخرطوم

وتعود ليلات التلاقي مثلما عادت ليالي الخيف للمخزومي

هذي دروب الوصل تزهو مثله وتبوح للكادي وللمشموم

قالت حدام لنا وعود تحتبي ذوب الندى ولهم نعيق البوم

للشاعر اليمني سالم عبد العزيز، ١٩٧٦م.

(*) القصيدة مهداة للصديق فاروق محمد من السودان ووردت في ديوان (والعشق أيضاً يماني).

يوسف عبد الله الحواتي

إلى أمي بلقيس

اليوم جئت يا بلقيس أتعرفين من أنا.
أنا واحد من الرعايا مهاجر لا يعرف التاريخ والحكاية.
اليوم عدت يا بلقيس تقودني خطاي.
أتنكرين ابنك الشرعي وقد حبلت في البداية.
وقد غدوت أما ترضع الأجيال بالحليب والوصايا.
أتعلمين يا بلقيس أني قادم كمشهد حزين في رواية.
يصارع الفصول كي لا يموت في النهاية.
وأنت تنكرين انتمائي والحقيقة.
وتنبذين آلاف الضحايا.
اليوم جئت يا بلقيس أدق أجراس المعابد.
أنادي الفجر من فوق المآذن ومن قلب المساجد.
أنا ابنك الشرعي وانتمائي خير شاهد.
لا تغضبي فقصتي طويلة حزينة.
ورحلتي شقاوة تفجع المدينة.
وابنك المهاجر شجونه دفينة.
أتذكرين يا بلقيس صغارك الذين أبحروا مع السيول.
وتركوا المعاول والبذور والحقول.
وحينها قد جفت العيون والخيول.
فهاجر المعلم وسافر البتول.

وأنت تحبلين فتفرح السنين وتضحك الفصول.
وقريتي الصغيرة تعانق الوجود.
تفرد الذراع تحتضن البتول.
فإنه مهاجر سنينه تطول.
فغنوا يا صغار واقرعوا الطبول.
أماه يا بلقيس قد جئت عائداً أتيت بالبذور.
ثمار غربتي أطفالك الصغار.
فلذات كبدي من أطيب الثمار.
يشدهم إليك حنين الانتماء.
وعزم أكيد يحفه الولاء.
بلادي عزيزة وإن طال الجفاء.
فإنا بنوك وقد كان اللقاء.
زمان طويل كقافية غرباء.

أنا قد مت مرتين

تلاقينا على جسر من الغربة وحاولنا بأن نسكب مياه النيل يا عيبان على أقدام تربتنا.
يجيء الوصل في مشوار رحلتنا محصلة من التاريخ انزرعت شجوناً بين قلبينا.
تمازج في مهب الريح.
ووجدان تمزق عبر ماضينا بحد السيف يا صنعاء وخارطة تحد الشوق.
عنها كم تغاضينا.
هجين ميت الأرحام.

حبيس النفس.
والسجان تيار من عروبتنا.
تكبلنا شعارات بلا مأوى.
جدار الحزن ممتد.
من الخرطوم يا صنعاء.
مرسوماً بكفينا.
تلاقينا على جسر من الأشواق بلا ميعاد.
ملامح وجهينا موشحة بلون الحزن.
تعانقنا بلا شوق يهز الصدر بلا حلم يحد الوصل.
تمادينا لقاء لا يشد الأزر.
مساحات من سنين الخوف.
احتشدت ودرنا في أزقتها.
يفصل بيننا شريان من طفولتنا.
فضلينا.
وسرنا في حواشي الدرب على أعتاب ماضينا.
بريق من حنايا القلب.
سراديب من الأشجان.
انطفأت بعينينا.
توارى حبنا وهجا.
وماتت ضحكة العينين في لحظة.
وكان الظن أنا قد تلاقينا.
شموخ الحب في طفولتنا.
غدا أسطورة رعناء.

شعوذة بلا وجدان.
تجافينا.
أمد يدي أشد أنامل الغربة.
وشريان جف فيه الدم.
زمان الوصل مسكين.
جريح بين وجهينا.
أنا الزمن المطل عليك يا صنعاء.
أنا النازح من بحور التيه.
تمزقني أغاني الوصل.
في الخرطوم.
عشيق من ربى النيلين.
وحلم مرهف الإحساس في أرق.
أيا صنعاء.
إرمي على وجهي.
سلاماً من جبال اللوم.
هزي أحاسيسي.
على قبري أنا قد مت مرتين.

محاسن عبد الله الحواتي

العودة والترحال

مسافات ستجمعنا.
وآهات ستجمعنا.
وصبح طيب الإشراق يجمعنا.
فراق منك أدمى القلب.
وشوق فيك يدفعني إلى الترحال والعودة.
فيا وطني.. ويا حباً له في الحب أنشودة.
رجعت أنا.. وعدت أنا.
سلام الله يا وطني.

قوليها

قوليها قوليها يا حلوة العينين قوليها.
مصوغة مصقولة كالعقد دليها.
إرميها على قلبي على سمعي في الأفاق في الأجواء.
بل للورى للخلق قوليها.
مصوغة مصقولة كالعقد دليها.
فأحرفها ممزوجة بدمائك الحمراء.
كلماتها تحنو عليك.
وتنثني حتى تقوليها.
مصوغة مصقولة كالعقد دليها.
يا سبئية العينين.

يا حميرية عربية أنت فلماذا لا تقوليها.
مصوغة مصقولة كالعقد دليها.
في جبينك آلاف الروايات القديمة.
وفيها ملايين الأساطير الحزينة.
أنا لست منهم قد تعرفينني.
سأنتظر حتى تقوليها.
يا عسجدية التاريخ.
والتاريخ حياكِ.
دنوت قليلا منك فاسترخي وقوليها.
قوليها يا أمي مصوغة مصقولة يا بنتي.
يا بنتي.

إلى المدينة التي عشقتها

هجرتك بعد حبي.
وخفت من عينيك تظلمني.
وكان قدري أن أغادر.
أن أهاجر.
وأطوي قدميَّ في وسط الطريق.
تترمل الآمال في قلبي.
ويدفنها الأسى.
هجرتك كي أحبك.
وحبك لا يزال.

اغنية اليوم الأول

لا تسلني إذا حان السؤال.
فأنا الطلاسم والانتقال.
أنا بقايا الزمان.
تركني الزمان إلى زماني.
وشد الرحال.
قيد على الساعدين.
وقلب ينذب وحظ سئيم .
رماد الأكفة.
فتات الزهور.
حروف الأحاجي.
تحكي إلي تحكي تقول.
ولدت غريباً كبذرة فول.
تنادي خلف المطر.
وتلهث خلف الرذاذ.
ظمأى جذور.
أين أنا وأين الحقول؟؟
لا فصل يزيل الشقاء.
ولا ماء سيسقي الحقول.
لا ريح الجنوب ولا ريح الشمال.
صقيرة واد فقير.
فكل عذاب عليك حرام.
وكل كلام يعني انتقام.

أردت الحياة.
حياتك لون الحياة.
حشوة عيني من نعاس.
وذاكرتي دفتر يوم عريق.
عرفت البراءة في الهوى.
وسر الحقيقة في الخيال.
لذا عشت غريب الدار.
فلا كهف يمين ولا كوخ يسار.
ستروي حروف إليك الكثير.
أنا عالم يوم جديد.
يسابق عمر الزمن.
يكابد كل رثاء بعيد.
أتيت وكلي شموخ.
أتيت من حيث لا أدري أتيت.
لكنني أتيت.
إذا حان السؤال فلا غرابة.
يجيء في هدوء يجيء في رتابة.
أو حتى كزمجرة السحابة.
لا تسألوني.. سيوفي الزمان يوم ويومي بالاستجابة.

خضر عطا المنان

عمل في شمال اليمن بالتدريس ونشر الكثير من المقالات الأدبية في صحفها ومن قصائده.. صنعاء:

صنعاء

صنعاء عروسة الجبال أغرودة السماء.
صنعاء يا مهد الهدى أنت يا رمز الوفاء.
أغنية الصباح أهزوجة المساء.
حبيبتي صنعاء يا مجد العروبة والإباء.
يا حسناء يا سمراء ويا قصيدة عصماء.
لم تجل يوماً بخاطر ما قالها شعراء.
صنعاء يا لغز حب لا يترجم
ونوري إذا ما الليل أظلم.
أنت للخرطوم توأم.
وفي بلادي أنت معلم.
عنك كم شعبي تكلم.
وبك موج النيل همهم.
صنعاء يا نبض فؤادي واعتزازي ووددادي.
يا فيض شوقي وصديقي في بعادي.
يا عروستي وأنيسي ودليلي في وهادي.
صنعاء يا أخت بلادي.
بين بلدينا جسور وجذور،

عنها كم تاريخ يحكي منذ آلاف العصور.
مشعل قبس ونور.
يهيم في أوج الهوى.
وبين شعبينا يدور.
لثم وعناق وفرح وسرور.
كعاشقين على المدى.
الكل ملتهب الشعور.
لن أنساك يا صنعاء.
لن أنساك.
لن أنسى تفضل وايش .
وشباباً من بلادي في تلالك الخضرا يعيش.
فأنت يا صنعاء حبي وبخاطري فرح يجيش.
وأنت والخرطوم تاج لزفاف عروسة وعريس.
وسبأ مثل مروى نعزها وتنام في حدقاتنا بلقيس.

صنعاء سبتمبر ٨٢ م

ذمار

حبيبتي ذمار.
رغم الدمار.
والانهيار.
وغاب عن الديار.
كل آبائي الكبار.
أنت عندي يا ذمار.
فوق ذياك الدمار.

وفوق هاتيك المحن أنت مشعل.
يأبى يرحل.
خالد طول الزمن.
وأنت المنار.
يا ذمار.
أين أنت يا ذمار.
كنت قربي سلوى قلبي والقصائد والشعار.
ورغم حبي تاه دربي.
ضاع في وضح النهار.
فيا حبيبتي ذمار.
للساكنين على رباك.
الراحلين يومذاك.
التاركين لكل دار.
أتلو كتبي أدعو ربي.
بكل تقوى وانبهار.

صنعاء ديسمبر ٨٢ م.

مبارك حسن الخليفة

عمل بالتدريس الجامعي في عدن منذ سبتمبر ١٩٧٧ م وتولى رئاسة قسم اللغة العربية بكلية التربية العليا بجامعة عدن. أصدر في ١٩٨١ م ديوانه (الرحيل النبيل) عن مؤسسة ١٤ أكتوبر بعدن. وأسهم إسهاماً كبيراً في الحياة الثقافية والصحفية بجنوب اليمن كما شارك في بعثة سودانية لدراسة آثار وفلكلور منطقة يافع بجنوب اليمن.

الإبحار والمرسى

النور لا يضيء في الدجنة.
الحب يا لضيعة النساء عارهن.
الفكر قيد الإنسان من خطاه.
إن قلت آه.
فلن تفيدني الآهات.
وارتعاشة الشفاه.
والصمت كان أجدى.. غير أن الصمت في البلاء عار.. يموج البحر بالأسرار.
فمن يغوص باحثاً عن اللآلىء البيضاء في القرار.
أما أنا فلم أجد سوى محار.. سوى أحجار.. والصمت كان عار.
خرجت منك يا صحاري التيه.
متعب الضمير.. مثقل الفؤاد بالهموم.
حقائبي خواء.. لكنها مليئة بالبذل بالعطاء.

فجذوة الإنسان لم تمت بداخلي . . لكل موسم ميعاد.
فموسم يجيء للبدار . . وموسم يجيء للحصاد.
أتيت يا عدن.
يحملني على جناح الشوق طائر الزمن.
يدس في شعوري الحزين كلمتين عن وطن.
تركته وفي الفؤاد جمرة الحزن.
وكلمتين عن زمن.
ألبسني في ميعة الصبا كفن.
وكلمتين عنك يا مدينة تعمدت بالنار والدخان والشجن.
أتيت يا عدن . . . فتحت لي بوابة الزمن.
والفجر كان يعقد الضباب فوق القمة الشماء.
غلالة بيضاء.
فقادني الضياء إلى سهولك الفسيحة الفيحاء.
محبة في كل نبع ماء . . في كل نبتة وزهرة خضراء.
أنا الذي أنكرت مرتين . . أنكرت مرتين في الصباح والمساء.
وهمت في المهامه التيهاء . . نعمت بالضياء.
وبهجة اللقاء . . . قد آن يا عدن.
قد آن لي أن أستجم ساعة . . وأنفض الغبار والإعياء.
عن كاهلي . . وأبدأ الحياة من جديد.

عدن ديسمبر ١٩٧٧م

شوق وعناق

أبعد الشيب يلبسني التصابي وأنسى عند عينيك اكتئابي.
وأنسى لحظة أني شريد وأنسى لحظة حزن اغترابي.

وأنسى الفجر حين بدا كذوباً وأنسى الليل مكتئب الإهاب.
وأنسى كل موماة فلاة أرقت على مفازتها شبابي.
أهذا كله لك يا مكلا فما أبقيت للغيد الكعاب.
وما أبقيت للخرطوم أمي مغتربة ويحزنها اغترابي.
وما أبقيت لأم درمان تشكو لموج النيل تحلم بالاياب.
وجاء الفجر وضاحاً صدوقاً ووشى بالسنا خضر الروابي.
وذرذر في عيونه خيط نور فما عادت تكحل بالضباب.
وحرشياتك اغتسلت ومدت أياديها لتغسل كل ما بي.
فهذي الغربة الشوهاء ظلت تدنس كل يوم من ثيابي.
وحصنك صار لي حصناً منيعاً وحرزاً من معاودة العذاب.
وفي سيئون عانقني نخيل وذكرني عناقاً في بلادي.
وهدهدني بسعفات رقاق فمس محاجري خدر السهاد.
غفت عيني وكم سهدت زماناً فنمت على الوثير من المهاد.
مهاد صيغ من نور مذاب تسرب في سويداء الفؤاد.
تسرب في مسام الريح لما أقلتني إلى رؤيا بلادي.
وها قد عدت يا سيئون فجر وكان الضوء يمسك بالقياد.
وصافحني ابتسام من شبام فما جدوى التصافح بالأيادي.
وضمتني تريم وكم أعاني من الحرمان من فقد الوداد.
فيا نفس امتحي من كل نبع وإن لم ترتوي فلتستزيدي.
أنست اليوم أني بين أهلي نفوس الناس مشرقة شهودي.
وتجمعنا وإياكم أمان نسجناها على مر العهود.
ويجمعنا وإياكم مسار تمثل في شبا القلم الرشيد.
ألا يا حضرموت وكنت نجماً تألق في سما اليمن السعيد.

لأنت اليوم شمس من سناها تشع معالم اليمن الجديد.
مضى يا حضرموت زمان قهر تكسرت القيود على القيود.
فغردت المشاعر في الحنايا وهللت الأباطح بالسعود.
فيا يمن التوحد عشت حراً ويا فتن التمزق لن تعودي.

عدن مايو ١٩٨٢ م

ما اخترت الغربة يا وطني

ما اخترت الغربة يا وطني.
ما اخترت المنفى.
وشهيدي أحياء.
بين أزقتها الربداء.
عرفت الحب الناس البرد الصيفا.
كانت قد حضنتني ألفا.
وعشقت هواها ألفا.
لكن حين همست.
أبحر ماذا؟
ما جدوى أن تسألني.
وحقيبتك ارتفعت سكنت كتفا.
والنيل شهيدي.
حين دلفت مساء أعتم قلت أسافر؟
قال وما جدوى أن تسألني.
إني ألمح في عينيك المرفا.

عدن يونيو ١٩٨١م

ولمبارك قصائد كثيرة كتبت في عدن منها ما نشر ومنها ما ينتظر . . مثل : النشوة الاولى .
إيقاع وأصداء .
الأفق الحالم المهداة للمؤرخ اليمني محمد عبد القادر با مطرف .
الغار والهداية المهداة للشاعر السوداني د . جيلي عبد الرحمن وهو ممن اشتغلوا بالتدريس الجامعي بعدن .
أسطر أولى في حكاية الصمود والخذلان .
سفينة الصحراء في الشيخ عثمان .
هوى آتيك أو نبوءة شاعر .
كعب أخيل .
الحكم والذاكرة المهداة لعباس الأمين بابكر .
أينا كان المسجى .
قافلة النور ومشنقة الأعداء المهداة إلى عبد المجيد شكاك .
دجى الغربة .
الرحيل النبيل المهداة إلى قاسم أمين .
القشور واللباب .
هي الغربة المشتهاة .
أوبريت تحالف قوى الشعب .
مشاهد من حكايات الثورة في الريف اليمني .
وغيرها . . . . . .

أحمد مصطفى الملثم

قيلت في الترحيب بزيارة الشهيد الزبيري لواد مدني بالسودان

سيري على نهج السلام ورددي صور السلام

وتحدثي بين المحافل عن بني العرب الكرام

حتى يجاوبك الصدى في الناس من يمن وشام

فهنا حبيب هائم وهناك صب مستهام

وعلى ربى السودان مقدام تكفر عن نظام

أضحى يكرم في البلاد فتى مآثره عظام

شهم أطل وأنه في قومه الرجل الهمام

متمسك بعرى المودة غير منقطع الوئام

فهو الوزير المرتجى وابن الزبيري الإمام

واليوم يهبط في ربوع نالها منه المرام

في محفل رحب الجوانب في الإدارة والنظام

يحيا على أرجائه متقلداً أحلى وسام

اتخذ المروءة عادةً لا يتخذ منها وسام

يا أيها الضيف الكريم قد استنار بك المقام

أمل العروبة*

داعي العروبة والإسلام نادانا في محفل جاء بالإخلاص مزدانا.
وهل يرد نداءً كله أمل في مجد قوم تواروا عنه أزمانا.
يا شاعر القوم غرد ها هنا طرباً ونسق الشعر أنغاماً وألحانا.
هذي الوجوه بما تحويه من أدب جم قد ابتهجت بالفضل مذبانا.
فذلك الرجل الموهوب جانبه قد طبق الجو آداباً وعرفانا.
سعى لرفعة أهل الضاد محتملاً في نصرة الحق تشريداً وطغيانا.
وراح يقتحم الأقطار تكلأه رعاية الله رحب الصدر جذلانا.
حتى أقام بمصر كي يقيم لنا من قوة الدين والإسلام بنيانا.
يا أيها الشاعر الفياض خاطره أتاك بالشعر حادي القوم نشوانا.
لقد دعيت لكي يحظى بكم أدبي ولن يطيق فتى الآداب عصيانا.
إن لم تكن بيننا من قبل معرفة ولم تنل مهجتي من ودكم شأنا.
فقد... شعور النفس أن تليت مآثر الحمد فيمن فاض إحسانا.
لقد سمعت بكم من نخبة جمعت أسمى الفضائل أشياخاً وفتيانا.
لقد سمعت عن العدل الذي شهدت به بلادكم إذ كنت ميزانا.
وقد رأيت فزادت رؤيتي... وهل أريد لذاك الفضل برهانا؟
تكفيه نفس رعاها الله صادقة ترى المذلة والإذعان كفرانا.
يا أيها الزأر الراجي أخوّتنا لقد لقيت مع الإخوان إخوانا.
ما أنت ضيف وإن شطت مرابعنا عقد العروبة حيانا وأدنانا.
إن العروبة جسم لا انفصام له لا يعرف الجسم أجناساً وأوطانا.
إن جئت دجلة قد شاهدت ليبية أو زرت نجداً فقد حييت لبنانا.
وإن دعاك الهوى يوماً إلى يمن فقد نزلت بها مصراً وسودانا.

لقد قدمت ودنياناً قد ابتسمت بعد الشقاء ودنياكم كدنيانا.
لقد قدمت ووادي النيل مندفع والروض مزدهر روحاً وريحاناً.
لقد قدمت وهذا الشعب يدفعه إلى العلاء نداء صار إيمانا.
فالمح فديتك نوراً ظل مرتقباً دهراً وفجراً بدا في الأفق فتانا.
وخبِّرِ القوم أنا ها هنا نفر لا نبتغي غير مجد العرب إعلانا.
إن قام للبذل في الأرواح داعية جئنا إليه زرافات ووحدانا.
هيهات أن يفسد الباغون وحدتنا إذا وقفنا تجاه الحق إخوانا.

(*) ألقاها الشاعر السوداني مبارك المغربي في احتفال الجالية اليمنية بحدائق المديرية بمدني تكريماً للمجاهد الكبير السيد محمد محمود الزبيري رئيس الاتحاد اليمني بمصر، وقد نشرت في ديوانه (عصارة قلب).

تاج السر الحسن

أول صلته الأدبية باليمنيين كانت في القاهرة ، في الخمسينات ، حيث التقى وعدد من أدباء السودان أمثال جيلي عبد الرحمن ومحيي الدين فارس بلفيف من المناضلين اليمنيين أمثال الشهيد محمد محمود الزبيري وعدد من الطلبة اليمنيين هنالك أمثال محمد أنعم غالب وأحمد الشجني وعبده عثمان .

ويشير عبده عثمان في (حوار مع أربعة شعراء من اليمن) لإبراهيم القحفي إلى تلك الصلات وأثرها كما يضيف إسماً سودانياً آخر هو محمد الفيتوري .

ففي القاهرة مثلاً كتب محيي الدين فارس قصيدته التي مطلعها :

صنعاء صنعاء ما تنفك قرباناً غداً ستهدم أركاناً وعمدانا.
ويا دليلة هاتيها معتقة ولتملئيها نبيذ الدم حرانا.

وفي القاهرة ومعاهدها تزامل الأديب اليمني محيي الدين العنسي والشاعر السوداني مصطفى طيب الأسماء مما ترك أثره في شعر الأخير في ما بعد .

وعموماً فقد سجل تاج السر الحسن تلك الذكريات في أشعاره فهو يقول في قصيدة (أصدقاء من تعز) التي نشرتها مجلة الشعر القاهرية في عدد يناير ١٩٨٥م والمهداة إلى صديقيه من اليمن أحمد الشجني وعبد الله الصيقل:

الصمت مثل النار يشعل عشب الذكريات القديم.
على سهول الأمس كانت ترى الألهم وراء سوخ الديار.

حيث الجبال البن يزهو على رؤوسها ويستميت الرجال.
الدم يروي البن.. الدم يروي القات.
الليل نسر جائع يأكل من قلوبنا يقتات.
يا أصدقاء الجيزة الخضراء على ثراها وقع أقدامنا الجسر والجامعة وروضة الأصدقاء.
أغنية من تعز منها يفيض الدم مثل العطور.
مقاصل الإمام عند النيل يصوغها الشعر ليمحوها ولحظة تسرح أبصارنا ما أوحش الليل وأقساه.
إلى اللقاء تكاثف الضباب في الطريق أحمد، عبدالله كيف الحال
رسالة تفيض بالذكرى شوارع العواصم الكبرى شوارع العالم تلفظنا لكنّها تجمعنا الذكرى.

وإذا كان تاج السر قد تناول هنا القات بصفته جزءاً من فلكلور اليمنيين فقد فعل فضل الله محمد ود. التجاني الماحي نفس الشيء حيث تناوله الأول في جريدة الصحافة السودانية وحلله الآخر ضمن أعماله المختارة التي صدرت عن جامعة الخرطوم في ١٩٨١م.

وما أن قامت ثورة ٢٦ سبتمبر اليمنية حتى كتب فيها أدباء السودان القصائد والمسرحيات والمقالات ومن هؤلاء بدر الدين هاشم في مجلة السودان الجديد وتاج السر الذي صدر ديوانه القلب الأخضر بقصيدة عودة ذي يزن:

قد عاد ذو يزن جواده عرفه يداعب السماء.
يمد ظله في اليمن السعيدة الخضراء.
أعلامه الجديدة رفت تظلل الحديدة.

قد عاد يحرق الأغلال والوثن. . وقصر صنعاء الذي يحوطه العبيد.
تكسرت قلاعه أعمدة الحديد. . ومات مالكوه في متاهة الزمان.
غطاهم باللعنات والأكفان.
البن ينمو في الجبال والبشر يعلون فوق قمم الزمان من جديد.
ويصنعون فجراً مشرق الصور.
وسد مأرب القديم شيد في الرمال. . وظله الأخضر أنبت الحقول واللآل.
رأيتــه يسمق فـوق قمم الجبــال وينبــوعــه يقــطر المــاء على الصحارى.
وضوؤه ينور الطريق للحيارى.
وعاد ذو يزن على وجوهكم يا رفقتي عيناه تلمعان.
وفي شفاهكم نبرة صوته الجسور.
وفي أيديكم حسامه يقطر منه النور.
وفوق حده دم الطغاة والكهان.
قد عاد فليتحد الجنوب والشمال.
ولتنحسر مأساة تلكم الليال.
بلادنا صنعاء أو عدن.
سعيدة قوية بلادنا اليمن.
ففي ربوعها قد عاد ذو يزن.

موسكو أكتوبر ١٩٦٢ م.

وفي قصيدة أخرى لتاج السر بعنوان (موت صديق) يستوحي الشاعر خلفيته من قصيدة (شنق زهران) لصلاح عبد الصبور راثياً

أحد الفدائيين في حرب التحرير اليمنية ضد الإنكليز في جنـوب اليمن :

قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطىء الجزيرة ودمه لون شطآن الخليج واليمن.

وقبل أن يطلق فوق صدره الرصاص تذكر النيل وأرض دنشـواي

وظل زهران يغطي ردهة الزمن.

لم يعرف الحمام أنه السبب والأرض أم البحر والصدف .

وأم كل النفط أم النخل والسعف.

لم تدر أنها السبب.

لأنها يدر ثديها الحياة.

عروقها تفيض بالذهب.

ذاك الذي شد على عنقك يا زهران حبل المشنقة . . ذاك الذي عند الأصيل.

يصطاد الحمام والبشر.

في قرية مصرية مسالمة.

هناك حيث عاش زهران ومات رافعاً إشارة المقاومة.

ذاك الذي روع دنشواي.

حفيده يجوس في عدن.

قاتل زهران حفيده يجوس في عدن.

قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطىء الجزيرة ودمه لون شطآن الخليج واليمن.

عرفته جلسنا في مقاهي النيل وكان يحكي لي عن المقاصد السجون والهجرة الغربة عن ربى الوطن.

وفوق صوته تحشرج الأسى تدحرجت طاحونة الزمن.
يا جيلنا الجسر إلى الحقيقة.
يا جيلنا المهد والكفن.
يا جيلنا متى سنلتقي. . . متى سنلتقي.
ونحن لم نزل معاً معاً. . . قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطىء الجزيرة.
وملء روحه وقلبه كل اليمن كل اليمن.

ثم تحمل الأيام تاج السر الحسن إلى عدن ليعمل بالتدريس الجامعي ويشارك في حياتها الأدبية عبر مقالاته وحواراته في مجلاتها: الحكمة، الكلمة، اليمن الجديد. إلخ. وهناك يكتب قصيدته.

الوتر المشدود

وهذا الوتر المشدود من قلبي إلى قيثارة العالم بفعل الريح قضايا نستحق البوح.
فيا موجات بحري الأحمر الطوافة الخضراء إذا ريح الشمال دنت وهبت تشعل الموجات.
ذؤابات من الفضة يزهرن رؤى بيضاء تعالي وامسحي من وتري المشدود إلى قيثارة العالم.
أسى تلك الكآبة صمت هذا النوح.
ويا عدن المفتحة البراعم يا يمانية دعيني أفتح العينين في عينيك.
دعيني أنشق البحر العميق وارتقي قمم الجبال وأرمق الواحة.
لعل الريح إن هبت شمالية.
وإن عبقت يمانية أعود لتلكم الساحة.

مصطفى طيب الأسماء

جاء إلى اليمن عضواً في الندوة الأدبية لأم درمان التي دعاها لزيارة اليمن عضوها اليمني عبد الله حمود حمران وضم الوفد الذي حضر في يونيو ١٩٧٦م لإثني عشر يوماً القاص الراحل أبوبكر خالد والشاعر الراحل محمد مهدي المجذوب والشاعر الراحل عبد الله حامد الأمين والشاعر د.حسن عباس صبحي والشاعر مهدي محمد سعيد والشاعر صديق مدثر والشاعر النور عثمان أبكر والصحفي الوليد إبراهيم وآخرين من المهتمين بالأدب والصحافة.

وقد حيا الوفد أكثر من شاعر يمني كان من بينهم الشاعر حمران كما تقدم ، وها هو الشاعر محمد أحمد الحداد :

أدباء زارونا من السودان أنعم بهم من فتية إخوان
حملوا رسالة شعبهم في شعرهم وبطيّه من روعة الألحان
إن الشعوب تسير في درب الإبا والشعر منبرها بكل زمان
ولنا بإخوتنا روابط جمة بالدين بالتاريخ بالإيمان
لكم من اليمن الحبيب تحية تشدو بها الآفاق في الأوطان

ورد طيب الأسماء على التحية :

لكم الشكر صفوة الإخوان من رفاق الآداب في السودان
نحن أنتم وأنتم الأصل فينا من قديم العصور والأزمان
من بتعز كصنوه من بني النيل وصنعاء كأختها كردفان

كما حيا الوفد الشاعر اليمني عبد السلام الحداد :

حي عنا نوابغ السودان وفحول البيان والتبيان

ألف أهلاً ومرحباً بكم يا إخوة القلب والحجى واللسان

إخوتي إخوتي الكرام لقد عزت تعز بكم على البلدان

هذه أرضكمو منها مضى الركب لإحياء حضارة الإنسان

فإذا جئتم اليوم حباً ووفاءً لأول الأوطان

فصدور تلقاكم وقلوب خفقت في هوى إلى السودان

عانق النيل فيكم أرض بلقيس وهشت جذلي بها الجنتان

وأما قصائد مصطفى طيب الأسماء في اليمن فمنها (لحن اللقاء) :

من النيل مسراه وللعرب نبعه وفي اليمن الميمون طابت عناصره.

ولاحت له صنعاء يعلو فخارها بفتيتها الأحرار فانداح داجره.

نحييك أم المجد يا بنت يعرب ويا دوحة العز الصميم مفاخره.

بني يعرب هذي تحيات شاعر من النيل قد مدت إليكم أواصره

نما في رياض النيل والنيل يعرب وصنعاء صنو النيل فيها معاشره.

إذا امتد من صنعاء صوت أجابه من النيل فتيان ووافت قساوره.

وإن رن في الخرطوم صوت أجابه بصنعاء ميمون أغر يبادره .

ومن قصيدة تعز:

تعز وأنت الحسن قد زان خدره جلال المحيا من نواظرك النجل.

حبيت من الفردوس أجمل منظر وأروع إبداع خبي ومستجلي.

تعز سلام الحب مني وخافقي. ولوع بأهليك الكرام أولي الفضل .

وفي يمني أهلي وميراث أمتي . ومرتع الأحباب والصاحب الخل .

ومن قصيدة (تحية اليمن الشقيق):

قف بإجلال وحي اليمنا . واسكب الشعر روياً هتنا
وطن الشم البهاليل الألى خلدوا العز نقياً صينا
سبق التاريخ في أمجاده فجره المشرق في وجه الدنا
وبدا أيلول في طلعته فجره المشرق حبا ومنى
يكشف الليل ويطوي غيمه ويحيي بسناه الوطنا
يا شعاعاً من لظى الشعب الذي حطم القيد ودك الوثنا
أنتم الثورة في مضمونها ومداها فاجعلوها الديدنا
واجعلوا الوحدة نبراسكم واجعلوا الحب الشعار الأبينا

وحتى بعد عودته إلى الخرطوم نجد الشاعر يحن في ١٩٧٩م إلى صنعاء بقصيدة عنوانها (حنين ووفاء) :

صنعاء لا تحسبي أني سلوتكم أو أنني قد سلوت الصحب والوطنا
إن طال صمتي فعن حب أكتمه وعن وداد يثير الوجد والشجنا .
أهلوك أهلي أناجيهم فيغمرني هواهم وأراهم شعلة وسنا .
وإنما أنت والخرطوم غرس اب وري أم نداها يسبق المزنا .
سقت بنيها هوى الأوطان فابتدروا شماً أباة أذابوا الهول والمحنا .

هذا بعض حصاد الزيارة وقد قامت صحيفة الجمهورية اليمنية بتغطية كثير من نشاطات الوفد السوداني الزائر وأدارت حوارات مع القاص أبي بكر خالد ، وناقش على صفحاتها الأديب علي عبد الله بني غازي شيئاً من شعر مصطفى طيب الأسماء الذي قاله خلال زيارته لليمن .

عبد الرحمٰن بن حسين الجبري

شاعر ومؤرخ يمني جاء إلى السودان تجاوباً مع الدعوة المهدية فيه ووضع كتاباً وأشعاراً في المهدي السوداني. يؤرخ لنفسه فيقول: «عبد الرحمن بن حسين الجبري الساكن في طيال بني جبر قطر من أقطار بلقيس سبا شرقية من صنعاء اليمن..». وقد ألف كتابه بعنوان «النفحات الوردية في بيان الشجرات المهدية التي تفرعت أصولها الذاتية عن الشجرة المحمدية» أو «تاريخ المهدي عليه السلام، النفحات الوردية والشجرة المهدية والصوارم الهندية حاوي الفضائل وجامع الشمائل بشرح مختصر في بيان ظهور المهدي». وقد ألف كتابه في أم درمان بتاريخ ١٣٤٤ هـ. وكانت مصادره من الثقات وأعيان الناس. يقول: «فلما خرجت من أرضي وأنا طالب مناقب آل بيت المهدي عليم في الشجرة التي هي عن بيان المهدية من الشمائل والفضائل والكرامات والمعجزات والنسب والحسب والمناقب والوقائع وأسباب الظهور وجميع الشمائل المهدية وما أشبه ذلك.. إلخ».

ومن أشعار الجبري:

يا صاحب الغار عقلي فيك قد سلبا
وكنت طفلاً صغيراً في ديار سبا
والشوق أزعجني من نحوها طرباً كأن جسمي بالأشواق قد جذبا.
الحمد لله قد شاهدت بيعته كنت مريداً معاه وسط غار أبا.

يا مهدي الله عاملني وخذ بيدي إذا أتيت غداً بالذنب محتجبا.
خذ بيدي يا أبو الفضائل وأيدني فنحن يا سيدي في داركم غربا.

وله :

هم أهل وادي جبا.
وهاجروا في أبا.
وعبدكم من سبا.
فجاءكم مستجير.
يرجو الرضا منكم.
لأنكم أنتمو أهل العطاء الكثير.

جد في السير بإخلاص العمل من سبا بلقيس إلى أرض وشل
هكذا من جد في السير وصل لو يكون البعد في أقصى اليمن
من أرض بلقيس جذبني لحبه وجئت غريب الدار من ذاك المحل

صيحة الحق

غنى الهـزار قبيل الفجـر في فنن فغـزا مسـامعنـا بمـآثـر اليمن
وإن أردت أخي عما مضى خبراً فـاستفت صنعاء واستلهم ثرى عدن
كن ذا ثبات وسل نجران في أدب تجبك عمـالها في الأرض من منن
سـاد العقول بنوهـا منذ نشأتها بـالعلم والـرشـد والتبيان والفـطن
أمجـادهم غطت الـدنيا مـراجعها وشيـدت عرشهـا في هـامة الـزمن
هم أيـدوا الدين بـالحوبـاء إذ نبذوا صفـو الحياة فمـا أغلاه من ثمن
لبوا جميعاً نداء الحق في عجل عافوا الخضـوع لدى الأصنـام والوثن
تـراهمـوا في الـوغى أسـد ذوو خـطر قلوبهم نحـو أهـل الشـرك. . .
نفـوسهم دائمـاً بيضـاء راضيـة لا يجنحـون إلى البغضـاء والإحن
أقدامهم نحو فعل الشر مبطئة ويسرعون لـدى الحـاجـات والمحن
أيعجب الشعب من إنجـاز ثـورتـه أم من مكـارم عمـار وذي يـزن
قـاد الـرئيس بعـون الله دولته نحـو السمـو وقـد سـارت على السنن
نـادى فـأصغت لـه الآذان والتحمت صفـوف أمته فقضى على الفتن
لم يـأل جهداً وظـل العدل ديدنـه فـوفـر الخيـر في الآفـاق والمـدن
دمتم وما مسكم في الدهر من حرج ذخـراً يدعم صـرح الفخر للوطن

عبد القادر شرقي محمد
معلم سوداني باليمن

فجر أيلول

يا بلاداً عشت فيها راقني منها الجديد
كل يوم عشت فيه قد تلقيت المزيد
ها هنا حقل وماء ها هنا صنع مشيد
ها هنا أيد تلاقت في سنا المجد التليد
نهضة في كل واد خضرة في كل بيد
يومها أيلول أقبل والتقى شعب السعيد
بات يرتاد المعالي وتراجع للعهود
في خيال الشعب باق زينة في كل جيد
قد فرحنا لقدوم والمنى عم الوجود
بالأماني والتهاني بالأغاني والنشيد
يا لها ثورة شعب لا يبالي بالحسود
كل عام يا خليلي وثبة فيها الجديد
ثورة الحق تجلت حلقت فوق البنود
قد تراءت لي نجوم في سما الماضي البعيد
إنها أمجاد شعب عمقت معنى الخلود

عوض إسماعيل الشيخ
معلم سوداني باليمن

صديق مدثر

عمل مدرساً بالمدرسة المتوسطة بزنجبار بأبين - جنوب اليمن عام ١٩٥٨م ، وله شعر يتحدث عن تلك الفترة من حياته ، وقد كان ضمن الوفد الأدبي السوداني الذي زار صنعاء في يونيو ١٩٧٦ م وكتب من وحي ذلك قصيدته هذه :

من الخرطوم أحملها تحيات من الود
إلى صنعاء خالصة فما للوصل من بد
لقد جئنا على أمل وسوف نعود بالوعد
بأن الشعب منتصر بوحدته على الكيد
إن احتشدوا لنرفعها على الهامات بالأيدي
وإن غداً لناظره قريب فاهتفوا بعدي
ليبق الشعب سيدنا ونبقى نحن كالجند
ويهتف في غد صوت ينادي من ربى الخلد
يدوي صوت قائده ويدعو الناس للحشد
وعدنا من تجاربه بما يأتي على السرد
صحونا أمة خرجت خروج السيف من غمد
فلن تثني تقدمنا أراجيف لمرتد
يمور إذ سما قصداً ولا يسمو بلا قصد
ويقطر في حنايا القلب ألواناً من الشهد
يضيء كثيف ظلمته بنور شع من عقد
ويبعث ميت الآمال في أسطورة اللحد

ونبل القصد يدفعه فلا ينفك عن رفد
سما بالعرب قاطبة وبلغهم ذرى المجد
وخلّد من مشاعرهم أساطيراً بلا عد
وسطّر حكمة الدنيا ببيت واحد فرد
ولم تترك شوارده عيون الصين والهند

أحمد الخزان

تهنئة الإتحاد اليمني وسكرتيره بمصر أحمد الخزان لرئيس الوزراء السوداني عشية نيل السودان الحكم الذاتي. . . . عن (الاتحاد):

تهــانينــا إلى الشعب الحبيب تــزف من القلوب إلـى القـلوب
فهــذا العهـد في الســودان أضحى مثالاً رائعــاً بين الشعـوب
وفتــرة حكمـه الــذاتي انتصـار أتيـح بفضـل عـلّام الغيـوب
بـه فخـر العـروبـة وهــو نـور سيهـــدينا إلى الــرأي المصيب
فــوادي النيـل قبلتنــا جميعــاً ومنبـع نهضــة الآتي القــريب
لنـا بـربــاه إخـوان وصحب كــرام في الشمــال وفي الجنـوب
فقم في مـوكب الأفـراح وانـظم نشيـد البشــر في ثـوب قشيب
لقــد ملك الســرور على قلبي فجئت أطيــر بـالقلب الــطروب
فللســودان خــالصــة التهــاني بمــا أوليــه من فــوز عجيـب
عن الشعب اليمــاني فــاقبلوهــا تـزف من الحبيب إلى الحبيب

قصائد في يحيى حسين الشرفي

للشاعر اليمني الدكتور أحمد علي الخضر :

وطني أحن إليك طول زماني وأهيم في ذكراك من وجداني

وطني إليك أشكي قصة رحلتي وما جرى لي في سجون أسوان

فمنعت من مصر ومن جناتها وحرمت نور العلم في حلوان

اليمن الخضراء أجمل بلدة يشهد لها التاريخ والثقلان

فارقتها كرهاً لسوء نظامها وسئمت عيشتها من الثعبان

وذكرتها في غربتي ونشدتها ونظمت ذكراها على الألحان

وترنمت أوتار عودي باليمن ويمدحها ويحسنها الفنّان

الله أكبر ما الذي هيج لي حب بلادي في فضا السودان

يا أيها الشعب السعيد تحية من قلبي المملوء بالإيمان

وأهدي بذكراك إلى يحيى حسين شيخ العروبة صانع الإحسان

يا أيها الشيخ الكريم فقم بنا لنجاهد الحكام في الميدان

ونحطم الأغلال عن إخواننا ونعيد فيهم روحهم من ثاني

ونموت في تحرير أبناء شعبنا ونكسر الأصنام والأوثان

وللشاعر اليمني أحمد الخزان :

شوقي إليك عظيم وأنت أب رحيم

وكيف أسلو وحتى متى اشتياقي يدوم

تالله إن فؤادي للبعد فيه جحيم

يحيى لقاؤك قصدي وكل شي أروم

لكنه الدهر قاس وللعباد ظلوم

ليت الليالي تطوي لكي لديك أصوم

إن الدراسة فرضي كما ترى يا حكيم

كذاك فرض التلاقي بكم علي لزوم

سألت عنك فؤادي فقال يحيى عظيم

أنت ابنه فلماذا تقول أنت يتيم

أهتز وجداً إليكم إن جن ليل بهيم

وينعش الروح مني من الجنوب النسيم

ذكراك ما فارقتني فسرها مستديم

ولا ملام ومن ذا على هواك يلوم

هذي التحيات يهديكها ابنك المستقيم

إن غبت عني فقلبي على ذراك يحوم

وله أيضاً :

آن الرحيل ولكن كيف ارتحل ومهجتي عندكم والقلب مشتعل

خزان حبكم يحيى له جزع من بعدكم وله في قربكم أمل.

لا روعتني الليالي في مناي وفي حلمي السعيد ببين ليس يحتمل.

دعوا خيالي يجري كيف شئت له فإنه بكم ما عشت متصل

ولي فؤاد رقيق الحس يجرحه جفا المحب جروحاً ليس تندمل.

دوموا على العهد لا تنسوا محبتنا فإنكم في وفاء العهد لي مثل.

وللشاعر اليمني علي زيد بن شائع :

قال ابن شائع يا الله إنك تسير بفضل من ناجى إليك المناجي.

كل في الغربة تيسر وسافر وأنا عليك يا رب تحسن خراجي.

قم يا رسولي شل قولي وخبر بلغ بها الشيخ يحيى احتجاجي.

يحيى أمير القوم هو نجم زاهر لكن آذان القوم فيها صناجي.

عبد العزيز المقالح

جاء إلى السودان للدراسة في أواخر الخمسينات وزار عندئذٍ الشيخ المناضل المرحوم يحيى حسين الشرفي في واد مدني. وكتب الشعر مجارياً بذلك بعض قصائد التجاني يوسف بشير، وعاد إلى الخرطوم في مطلع الستينات حيث أسهم في بعض البرامج الإذاعية بأم درمان وهناك كتب قصيدته عتاب، وتاريخ القصيدة ١٩٦١ م.

يـائس منـك فـايـأسي من لقـائي ودعيني لغـربتي وعنـائي
فيك أخلصت واحترقت وعـانيت وجـاهـدت في سبيـل اللقـاء
يـا بـلادي وأنت لم تمنحيني غيـر أذن مثـقـوبـة وثنـائي
كلمـا شيع الـزمـان نهـاراً من حياتي في الغـربـة السـوداء
ودعتـه بـلا صـلاة دمـوعي وبكتـه بـلا أسى كبـريـائي
كيف أهـرقتـه على غيـر أرضي ولمـاذا دفنتـه في العـراء
كـان أولى بـأن يكـون شعـاعـاً في بـلاد لم تكتحل بـالضيـاء
في ضميـري زلازل في دمـائي ثـورة عـالميـة الانتمـاء
غيـر أني إلى بـلادي مشـوق كـل أذن تهفـو إلى صنعـاء
قبلتي حـائط عتيق وإطـلال عـلى ذلـك الـتراب الـنـائي
وسـرابي إذا تغـور المصـابيـح نجـوم تغفـو بتلك السمـاء
فلمـاذا لم تـذكـريني أجيبي يـا بـلاداً تقيم في أحشـائي
بح صـوتي على الجبـال تكسرت على كـل ربـوة خـرسـاء
أكـل الليل ضـوء عينيـك أغفى تحت جفنيك هيكـل الظلمـاء

فلمـــاذا لم تـغضـبي لـم تثـوري أي قـلب لصخـرة صمـاء
لا دمـوعي تهـز ذرة رمـل في مـوانبـك أو يـهـز غنـائي
أسفي أن أموت يوماً غريباً ودم الشوق صارخ في دمائي

وللدكتور المقالح دراسة مطولة حول أدب الطيب صالح القاص السوداني المعروف في كتابه «أصوات من الزمن الجديد.. دراسات في الأدب العربي المعاصر» عن رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»، والجدير بالذكر أن الناقد السوداني مجذوب عيد روس وضع هو الآخر دراسة مطولة عن أدب الدكتور المقالح نشرت في صحيفة الأيام الخرطومية.

سعيد محمد دحي

كتب بعض شعره خلال دراسته بالسودان ما بين ١٩٦٤ م و١٩٦٨ م.

الزنبقة السوداء

زنبقتي أريد أن أقول شيئاً عنك لا يقال.
أريد أن أنال شيئاً منك لا ينال.
أن أقطاف المحال
وأرتوي من منبع الخيال.
أشم من عبيرك الفواح عنبراً.
أضم من حديثك العطري باقة تزرع في صدري زنابق الآمال.
زنبقتي ما زال طعم ذلك الرحيق في فمي.. يطرد مني الشك في حلاوة الأشياء.
يشعرني أن المدى الطويل ممتع وأن رحلتي جميلة غنية الرؤى.
وإن ماأنشده في هذه الحياة ليس بالبعيد وليس بالقريب.
ما أروع الأشياء عندما تشدنا الأشياء.
بيني وبين بغية الحياة شعرة من الحرير.
بيني وبين نقمة الحياة شعرة من الحرير.
وأنت يا زنبقتي السوداء.
تنسجين من شعرك الحرير ملبساً يعصمني من الشتاء.
وسلوى تعصمني من الأسى.
وقارباً يتيه في نهر من الأنوار.

باهية ألوانه.
هادئة أمواجه.
ترود شاطىء يدور بالبخور.
يسبح في غلالة من نور.
زنبقتي هل لي إلى عبادة في ذلك المحراب ذي الأعمدة السمراء.
هل لي إلى سياحة في غابة الأبنوس.
أركع عند ذلك التمثال.
أشمه أضمه أدهنه.
أحمله لمعبدي الحزين فارتوي وأنتشي بأروع انتشاء.
وعندها أقول يا زنبقتي ما في الحياة من قلق.
وذلك الربيع في الضلوع ما احترق.
وانتعشت آمالنا.
في رحلة الحياة.
وتغتدي قصيرة كالحلم الجميل.
زنبقتي إن الحياة عندما يقترب اللقاء.
تطيب بالأشواق والترحيب والعناق.
فتزدهي الشفاه بالبريق.
وتغتدي الحياة يا زنبقتي أروع ما يمر من زمان.
وخير ما نغني من المكان.

عنجة

عنجة يا حباً عشعش في صدري.
وشباباً ينبض في قلبي.
عنجة يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي.

يا صوتاً يتردد في قلبي قبل لساني.
يا روحاً يسبح فيه قلبي.
قبل خيالي.
يا معنى يمشي.
يتمثل في نفسي.
يا طيراً غرد في واحة قلبي.
في ذاك العنبر.
يا مسبح فكري وسلافة عمري.
غنيت مراراً ولهثت باسمك تكراراً.
مالك يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي.
وغناء الفرحة يتجدد انحطم الناي وطار.
وانقطعت في العود الأوتار.
وإذا الفرحة تتبدد.
وإذا بي بعد نداءك.
يا مرتع أفراحي.
أصرح أقول يا منبع أحزاني وبكائي.
في يوم الأحزان.
ذلك يوم فراقك.
لا لن أنسى وطني الثاني.
لن أنسى سودان الثورة لن أنسى أيامي الأولى.
لن أنسى أكتوبر.
ولأول مرة بعد سكون رام على نفسي.
لم أر فرقاً بين هنا وهناك.

ولأول مرة خارج وطني.
أشهد شعباً يتقيأ عهداً أسود.
وانفجر البركان بركان الشعب الأسمر.
وترامى في سمعي وأنا محبوس.
في ذاك العنبر.
لعلعة رصاص غادر.
وهتاف جماهير تهتف.
كأسود تتوثب تزأر يسقط عبود.
عاش كفاح الشعب الصابر.
وهناك بعاصمة المهدي.
ولأول مرة أشهد شعباً يزحف في ثورة.
في يوم الاثنين.
لن أنسى أروع منظر.
هدهد فكري وتمثل في نفسي شيئاً يتخطى كل خيال.
كان الثوار جميعاً يبنون متاريس والنقمة في كل حنان.
والرعشة تسري في قلب الخائن.
وأخيراً أرجع للملهمة الكبرى.
لأبي عنجة مدرسة الحب الأخوي الصافي.
عنجة إني في ذكر هواك وأفضالك أتلعثم.
تسبيحي وعصارة روحي.
إحساسي بفراق حبيبة قلبي.
عنجة لا أملك عنك سوى ذكرى أربع زهرات.
فيهن رواء شبابي في أربع سنوات.

ما أحيا لن أنسى أبا عنجة.
لن أنسى نخل أبي عنجة.
نخل أبي عنجة.
لن أنسى طير أبي عنجة.
لن أنساكم.
لن أنساكم.
عجزي في إبداء شعوري.
يجعل صدري قفصاً ذهبياً.
يحمل طيراً مخنوق الأنفاس.
يتحشرج في حسرة.
لا يملك كيف يغني.
محبوس يبكي.
وبكاء الطير لعنجة يغني عن كل غناء.

هدهد إلى حنتوب

حنتوب تدعوني تعال.
فذكرت حفل العمر في حنتوب.
جوهرة الجزيرة.
وذكرت أشجار الحراز.
أحب أشجار الحراز.
وذكرت نهر النيل.

فراج الطيب السراح

زار اليمن أكثر من مرة وألهمته ثلاث قصائد نورد بعضها هنا :

أهزوجة لليمن

من أرض أهلك في سودانك الوطن حث المطي إلى أهليك في اليمن
واحمل تحايا الهوى العذري نافحة أردانها الطيب واهبط أرض ذي يزن
مهد الحضارات من عاد ومن إرم إلى ثمود إلى طسم أولي الفطن
إلى جديس وعمليق وبعدهم قحطان جد الأولي كانوا حلي الزمن
أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهتن
ومن ذمرمر أو صرواح أو هكر أو اهجر الهجر أو ناهيك من فدن
أو ذاك بينون أو ذا موكل وهنا سلحين أو تلفم أو دورم العنن
من جذمهم كان عدنان وكان بع محمد آية الآيات والسنن
فقول هادي الورى: الإيمان ما بقيت هذي الحياة ـ يمان ـ قول مؤتمن
يا حادي السفن سفن الجو حط هنا بلغت صنعاء وهذي غاية السفن
يا ولد صنعاء جئت اليوم زائركم زور المحب حمى أحبابه الزمن
وكيف لا وهو من قوم ذوي نسب في الفضل من قبل هدهاد وذي جدن
فالجود مذ عرف اسم الجود في يمن والفضل مذ عرف اسم الفضل في اليمن
حياكم الله يا فخر الشعوب ويا طلائع المجد من صنعاء إلى عدن

إن العروبة إن ضلت مواطنها فما لها غير هذي الأرض من وطن

جدة يوليو ١٩٨٣م

صنعاء الحلم

صنعاء ها أنذا أعود عودي إلى مغناك عيد

صنعاء أنت الحلم رفقاً به الأمل السعيد

فأولاك قومي من بني يمن فما عنهم محيد

يا مهد غمدان العظيم يضيء باحته الخلود

جود الأماجد من بني قحطان ليس لهم نديد

حدث فبلقيس وذو جدي وذو يزن شهود

نفثات في غربة الروح

حثحث ركابك عل الله يبلغها داراً أماناً لديها يحمد الجار.

من كل شهم رحيب القاع أخلصه أماجد من بني قحطان أبرار.

أولاك قومي لا أبغي بهم بدلاً ما ساجعت واله الأوتار أوتار.

عزاء أم ذي يزن

قالها الشاعر السوداني مختار محمد مختار في الزلزال الذي أصاب اليمن في ١٩٨٢ م.

يـا أم تبع الســامي وذي يزن نفسي فـدى لـك في الأرزاء والمحن
رماك بـالصيلم الـدهـواء غـافلة دهـر يصيـد عتـاق الـطيـر في الفنن
أخنى على عمـرو المشهور صـارمـة وذي نـواس وبلقيس وذي جـدن
فــلا سـلامــة في الـدنيـا ولا دعـة ولا نجـاة من الأحـداث والفتن
إذا أمنـا صـروف الـدهـر خـاتلة فقـد أمنـا عـدواً غيـر مؤتمن
خـطب لو عـرت الخرطـوم زلزلـة مثل التي عـرت الأطـواد في عـدن
قـد هـاضني ومـرى دمعي وأرقني أني وإن كنت في السـودان ذو يمن
إلى غـطارفة الغـر الكرام نمى عـْرقي ومن أصله الـزاكي زكـا غصني
الخـالـدين أبـاة الضيم أنفسهم مـا سلن إلا بـأطـراف القنـا اللدن
دمــار أي دمـار شن غــارتـه على قــراك الــزواهي حــادث الــزمن
أم إن رجم الأوالي في تــطيــرهم بشؤم بعض منَ الأسمــاء لم يخن
هل كنت تدرين ما يخفي الزمان لها وما يداري من الأضعـان والأحن
حتى إذا أخـذت في الأرض زخرفهـا يـدكهـا فـدن يهـوي على فـدن
وكـأنها وهي في الغبـراء خـاشعـة لم تغن أمس وكـانت أنـظر المـدن
وينسف الـدور مجنونـاً فيجعلها كـالمـوحشات من الأطـلال والـدمن
يفــرق الشمــل والأحيــاء يتــركهم بــلا مــلاذ ولا أهــل ولا سكن
كـلا فلم يـدر مـا بـالغيب من أحـد بـل إنمـا أمـره إن قـال كن يكن

لله واسع علم ليس يدركه بالظن كل جهول ضيق العطن
كذاك تنفذنا الدنيا إلى غرض كلت دوين مداه فطنة الفطن
تأتي الحياة فنبنيها ونعمرها كل بها مستهام جد مفتتن
نطوي غياهبها شدت نواظرنا إلى مطالع فجر بعد لم يبن
نجوزها بعضنا يتلو على عجل بعضاً كماشية الأنعام في قرن
نغدو ونسري حيارى في مفاوزها حتى يفرق بين الروح والبدن
أعيا أوائلنا سر تكتمه أحشاؤها وشفاء النفس في العلن
بالرغم منا مع الإيمان يفزعنا ما خلف أسجافها المسدولة الدكن
مهلاً فما كل أمر قد بدا حسن كلا ولا كل غيب ليس بالحسن
يا رب شك عرى قبل اليقين هدى إلى يقين بشك غير مقترن
يا أرض حمير في اللأواء تعزية فأي حي بحين غير مرتهن
شجاك هاج شجا لبنان فانتكأت له جراح أسى في القلب مختزن
صرعى شتيلا وصبرا ما فتئت لهم مسهداً واجف الأحشاء ذا شجن
وما تزال طيوف من مصارعهم شتى تخلي أجفاني عن الوسن
أنباؤها هزت الدنيا مضاضتها ولم تحرك قلوب العرب في الوطن
كأنهم من صلب الصخر قد فطروا بلا فؤاد ولا عين ولا أذن
شاموا السيوف وباخت في صدورهم نار الحمية من هذر ومن ددن
تقلبوا في رخيم من بلهنية فاستمرأوا العيش بين الهون والدرن
إن أغدقوا المال سح الغيث ما غسلوا أدران عرض لهم في الناس ممتهن
فما يدي المال أعراضاً ممزقة وما سوى العلق المهراق من ثمن
تلكم فلسطين ثكلى أهلها شعث طير يهوم في الدنيا بلا وكن
لو أجمعوا أمرهم بالليل واعتزموا لفوا دويلة إسرائيل في كفن

كثــر ولكنهم من فـرط فــرقتهم مثـل الغثــاء غثـاء السيــل من وهن

إليك من مقـرن النيلين مختـزنـاً شعــراً تـرقــرقه أشجــان محتـزن

وجاء كل شهيـد من بنيك قضى بين الجنـادل صوب العـارض الهتن

الطيب السراج

ما عاد قلبي مأوى بعيد للحزن قد حال بيني وبين الحزن ذو يمن

يحى الإمام أمير المؤمنين أبو الأسياف حامي حمى الآيات والسنن

ما زال هذا الإمام العادل الورع البر التقي النقي المحسن الحسن

يعتر عابدة الطاغوت معترضاً بالسيف يضرب في الأعناق والقنن

في جحفل من بني ماء السماء سما إلى السماء بهم عمرو وذو يزن

وذو المنار وذو الإذعار تبعهم وذو نواس وذو جد وذو جدن

أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهتن

حتى ابذعرت جيوش الكفر طائرة مثل الهباء بلا رأس ولا بدن

إليك جئت من السودان ترفعني إلى لقائك أشواقي وتخفضني

مجاهداً في سبيل الله متكلاً على الذي هو يسقيني ويطعمني

مطيتي نفس ماضي الفدم مجترىء على الجرأة ذي جبن عن الجبن

للشاعر السوداني الطيب السراج

لا بد أن نمر

ولم أكن لأعرف الطريق.
عبر الدخان والحريق.
لولا نداؤك الرقيق.
يهتف بي.
يصيح بي تعال.
حبيبتي.
نحن هنا أسرى.
تثقلنا الأغلال.
ترهقنا الأثقال.
لكم نحن للرحيل.
نريد أن نبحر.
أن نرفع الشراع دون أن نرسي.
نريد أن نمضي.
قاصدين اللامكان.
لكنما القرصان.
وصائدي السفن.
من يزرعون دربنا.
بالحقد بالألغام.
عبر هذه السفينة.
لا يتركوننا نمر.

لا يتركوننا نبحر.
يخشون يا حبيبتي.
رحلتنا.
يخشون أن نمر.
بالعوالم الفساح.
يخشون أن نبصر.
ضوءه الصباح.
لن نسمع الأنغام.
شادية بعيدة عن النواح.
حبيبتي.
لا بد أن نمر.
ونلتقي بحلمنا المعشوق.
أما الأولي رايتهم.
وسيفهم مسلول.
والفكر في سجونهم مخنوق.
ولم أكن لأستطيع.
وقد مررت عن طريقهم.
أن أساير القطيع.
شهدت بؤسها الحياة.
شهدت كيف تنكس الحياة.
أعلامها.
إذا أطل فوقها.
قتلة وحاقدون.
وكيف تبرز المأساة.

وكدت أن أضيع.
أن أفقد الطريق.
لولا نداؤك الرقيق.
يهتف بي عبر الظلام.
يهتف بي تعال.
حبيبتي.
ليس سوى الترحال.
ليس سوى أن نرفع الشراع.
رضيت أن أكون سندباد
قبلت أن أعيش.
حليفي الأسفار.
لأنني لو تعرفين يا حبيبتي.
لا أستطيع أن أعيش داخل السجون.
مهما تزينت.
وزيف المزيفون.
وزعموا لي أنها.
أجمل ما ينشده الإنسان.
لأنني أنا أنا الإنسان.
أعرف ما يكون وما قد كان.
أعرف أن الحب والحنان.
أعز ما يملكه الإنسان.

أحمد الشجني

ممثل صنعاء لدى الخرطوم في الستينات

تحت قوس الجزيرة العربية

في الفاتحة.
لك التحية.
مثل افترار الزهر والشمس النقية.
أما بعد.
فإليك والشمس في مرجل الإكليل.
أخبار من جاز التخوم الساحلية.
يا نجمة الخرطوم.
ضيعت خطوي في البهيم.
فلا أقيم ولا أسافر.
تتفطر الساعات تفري حجاب الليل.
في زخم التواتر.
يتناسل المضمار آماداً.
يفرق همتي مزقاً شطائر.
حادثيني يا عيون النيل فما اجتمعت عليك.
ملامح العتمور[1].
وما اقترفت جرائر الترحال في شرك المخاطر.
تظل غاياتي على الدرب المعصب.
ركبت بحراً.

---

(١) العتمور: صحراء بشمالي السودان.

زاحمت نسراً.
وسلخت على جسر السنين عشريناً وعشراً.
معتسفاً في حاضري سبل المظفر[٢] مجدب التحليق.
أنقل وجهتي في الصمت قسراً.
تتقاطع الأقواس على طبق السكون.
ترسم خارطة الجراح أشكالاً تعرى.
جفلت عني النهايات.
ولت فنارات المرافىء.
فما دنوت بمطمحي المرجو شبراً.
ذا أنا وأنت بالخرطوم عين ساهر.
يصاقب سهدها.
كحل الغياب.
تحصين للنبض اللهيف.
تساقط الأيام بجدول التوقيت.
لآخر الأرقام على حدود الفجر.
وأنسام الإياب.
نهضت بباب الليل كل دفاتر التذكار.
بالشجن القديم وبالخواطر.
حملت أغاني الأمس والكلم الأنيق.

---

(٢) المظفر: أشهر ملوك دولة بني رسول اليمنية وقد اتخذ من تعز عاصمة للدولة.

منضداً بفم المزاهر.
يا بيدر النجم المعلق فوق صدر النيل.
عقداً من مكارم.
يا بردة من شمسه الغراء ثوباً.
للأكارم.
يا دوحة من روضة المأنوس.
ترفل بالنسائم.
يا طهر الغراس النابتات معزة.
تثري العوالم.
يا تهليلة بالفجر شادت أم درمان[٣].
يا ذخة المعالم.
ما زلت أقرأ في الرقيم كتاب عهدك.
لن أحيد ولن أساوم.
في انتظار الشمس ترحل في المدارات.
تختزل المسافة.
تأكل أعراف الشمال..
حتى إذا رتع الصباح على الوجوه مبرقشاً.
جدر السماح.
وكل دوحات المدائن.

---

(٣) أم درمان: عاصمة الدولة المهدية بالسودان في القرن التاسع عشر الميلادي.

تتناغم الأنداء.
والهزج الأثير يزف أشرعة السفائن.

حامد إبراهيم حامد
معلم سوداني باليمن

إيقاعات الزمن الآتي

كسلا*

أعبر الشوارع.. شوارع الإسفلت والزجاج وأمضي... عشرون خطوة وقنديل... وعلى البعد مصباح سيارة قادمة. وشرطي عجوز يقف أمام بوابة مشبوهة وأنا هنا كل الحروف تنام. الساعات تنام وتبقين أنت أمامي بكل التفاصيل الحلوة فيك أتسكع في شوارع قلبك.. وأمضي أعيشك لحناً تعزفه مشاويري. وحين أسافر أذكر أنني ما عدت أحمل لوني وإسمي لو تدرين أنك صرت بطاقتي وجواز سفري ومشاويري.

أحمد الفقيه

مغترب يمني بالسودان سابقاً

(*) عن مجلة الوطن ـ صنعاء.

الوحدة اليمنية

الله أكبر كم يبقى على الزمن هذا اللقاء لقاء الروح والبدن
أن أشرق اليوم في صنعاء منبلجاً هذا الضياء فقد أوفى على عدن
أن العليين خطا حينما اعتنقا مسيرة الوحدة الشماء لليمن
بل للعروبة في أقصى مرابضها بين المحيطين في شوق وفي شجن
فلتفرح اليوم أجساد مكنفة من ناصر وسمت حتى لذي يزن
إنّ العروبة يا أعداء أمتنا لمّا تُصَبْ ويلكم بالضعف والوهن
وهاك يا وطني الثاني مشاركة مني ومن كل إخواني ومن وطني
عجالة ضمّخ السودان باقتها بعطر وجدانه الدفاق والهتن

صنعاء
للشاعر السوداني جعفر حامد البشير

عبد الله الطيب

زار اليمن أكثر من مرة وألقى فيها المحاضرات الأدبية وكتب عنها الشعر. وتكاد لا تخلو قصيدة له عن اليمن من ذكر صديقه الحميم د. محمد عبده غانم فهو في قصيدة (وادي النيل البعيد) من ديوانه (بنات راما) يقول:

ألا إن وادي النيـل منـك بعيـد فهـل أنت لمّـا أن نـأيت سعيـد
وفي عـدن دار الأديب ابن غـانم وحيث وراء البحـر عـاش هنـود
ركبت إليهـا زورقـاً وسبـاحـة وعـطلةُ صيف والـطريق كؤود

وهـو في قصيدة كتبهـا في ينايـر ١٩٧٧ م في جـزر سيشيـل يقول :

أخـا النفـر الغـرّ اليمـانينْ إنـه القـريض بـه نشـدو إليـك مُحْـودا
نـطول بـه فـوق الطوال ونعتلي على كـل قرن حيثمـا كان أرضـداً
لقـد سـرني لمـا بليـل يكشفـه تـأكـد أن لا شيء يخشى وأكـدا
فـدم في هناء لا يـراع وصحـة ووقيت أحـداث الليـالي وتفتـدى
ولا تعفـون دار بفرشخـة أبين بها سـوف تلقى مثلمـا كنت سيـدا
نعـود إليـهـا إذ تعـود مسـوداً سعيـداً وتلقى زائـرين ووفّـدا

وهو في قصيدة كتبها بالمغرب في مارس ١٩٨٦م يخاطب أكثر من صديق له باليمن :

أتاني من عبد العزيز المقالح كتاب كريم بالمودة مانحي

وجدت لدى عبد العزيز طبيعة من الفضل فيها جدّ وهو كمازح

ولما أتت برقية من جنابه زهتني إلى صنعاء نشوة صادح

وعهدي بصنعا كرمتي وأحسنت وجادت وزادت واستحقت مدائحي

ولم ألق في أعلامها غير عالم ملم بأنباء الأمور الصحائح

وقد سرني حقاً لقاء ابن غانم وهذلك من خل إلى البر جانح

نمت مذ سني بضع وخمسين بيننا صلات وداد أصلها في القرائح

ومني لـه توقير شيخ عشيرة تراه أباها بين غاد ورائح

كما لأبي بكر صفاء ابتسامة تشع على وزن من الحلم راجح

وجدت لدى القوم اليمانيين باقياً إلى اليوم عتق الأولين الجحاجح

وكانوا همو أصل الحضارة معدن العروبة في ظلمائها كالمصابح

سلام على صنعاء مني تحية مضمنة حباً لها في الجوانح

رحلتي إلى صنعاء

أين وادي النيل مني ها أنا وحدي أغني .
فالضفاف الخضر طيف لم يعد يشتاق ظني .
أيها النسر انثناء أنت معهود التثني .
هل تأنيت قليلاً إنما الخير التأني .
فبنات الغيم تهمي كلما يمتاح قلبي .
بين صنعاء وبيني غيمها جاءت بمزن .
هذه صنعاء لاحت لوحة من كل فن .
أودعت بلقيس فيها رونقاً من كل حسن .
كل ما في الكون يهنا إنما صنعاء تهني .
أيها النسر اتئاداً حط بي يا نسر دعني .
حط بي يا نسر واصغ إنني إياك أعني .
ما لهذا القلب يهفو مثلما مس بجن .
والسماء بها امتداد تزدري فكري وعيني .
أين وادي النيل مني ها أنا أغمض جفني .
ثم أصحو في بلاد خصها الله بصون .
فالسحاب السمح يعطي والجبال تقول زدني .
والعيون لها انسياب بين أعناب وبن .
أين وادي النيل مني أين أيامي وخدني .
كلنا في كل واد والهوى من غير كون .

محمد علي عثمان ـ السودان .

عاد إفريقيس

تتلوى الطريق سكرانة.
تقوم وتنهار.
تنحني وتلوذ.
بالجدار الطويل.
وترنو إلى الذرى جانبين.
عن يمين ترامى.
تحتها دون أفق.
وعن يسار تسامى.
والذرى لا نهايات مستحيل.
غرقت في الضباب.
سراً وسحراً.
قاع جهران يبكي وحيداً.
دموعه أعشوشبت صخراً.
ويحبو مؤيداً.
يتلمس السفح.
سلماً موؤودا.
يتشهق قطرات من الغيم.
وساعة يرتخي فوقه.
ويصلب عوده.
وتناديه من بعيد.

تناجيه مزامر الريح.
هيا وتنفس الصعداء.

سمارة خلفي حيران.
وأسلمني للريح ثغره بين الكثبان.
ويرف فوقي البرق صكوك الغفران.
وتلوح لنا إب الجنة.
ذات الأفياء.
وأعاند صمتي.
ابكي.
أنا من هذي الوديان.
ظرفي يمطر القدرة.
عمدني.
بارك خطوي.
فالليلة تحرس في الجبل تناديني.
تنتظر العبس الغائب.
منذ قرون.
الليلة عرس الأحقاب.
الليلة يا بنت صبر.
يعود الأعراب.

تلألأت على البعيد.
أعين المدينة القديمة.
ونامت التلال في الغروب.
طرزت أثوابها من الغيوم.

وعلقت على صدرها المخضر.
باقة من الزهور.
ومددت أقدامها إلى النسيم عارية.
صبية مليحة.
فلاحة وراعية.
تودع النهار.
احتملت سلالها .
وأينعت غصونها .
تفتحت ثمارها.

وتحتمي بقلعة منيعة.
أكتافها علوية الشجر.
وهذه تغريحوجها.
وأغنية الأمس.
تزاحم الصدى.
وتملأ الأفق.
قد عاد افريقيس.
يا صبية الجبل.
قد عاد مثقلاً بهمه والسهاد والسفر.
وغير الزمن وجهه.
وخط فيه أحرفاً من الأسى.
لا تنكريه يا صبية الجبل.
مدي يديك يا تعز.
ولترفعي القناع.

فالغريب أنه حبيبك.
المسافر القديم.
قد جاء بالعطور والثياب والحكم.
والأبنوس والبخور والعقود.
فلتفرحي تعز.
قد عاد افريقيس.. عادت السفائن المعتقة.
وعاد ذو يزن.. قد عادت اليمن.

تعز ٢ - ٧ - ١٩٧٦ م
للشاعر السوداني عبد الله حامد الأمين

يمنيـــة

يمنية.
سليلة قحطان.
بنت بلقيس العربية.
ذابت في أوصالي.
أغنية حب خالدة أبدية.

يمنية.
من صنعاء انحدرت.
من أسلاف عرق عربية.
مازجها دم الزنج.
فجاءت وردة بنفسجية.
تستقي من نيلنا الأبيض.
من منابع الزنج الأصلية.

يمنية.
سلاف الحب.
ومضة النور مشرقة.
أناجيها في الطيف.
أناديها في الذكرى.
فتعودني موسيقية اللحن.
تؤنسني.
تبقيني على عهدي.
وسأبقى كل العمر لك يا صبية.

للشاعر السوداني صديق الصادق

مرثية للمجذوب

لا لا فهـذا ليس تنعيـه المـراثي والـدمـوع
الصمت والحـزن العميق أبـر فعـل نستـطيـع
أيمـوت مثـل الآخـريـن ومثله طلب منيـع
أيمـوت لا خلفـاً لـه الله كـم فـينـا يسـوع
أمحمـد المجـذوب مـالك عنـد غـربتنا تضيع
أأنست تـرحـالاً إلى مـا منـه عـود أو رجـوع
أرضيت تـتـركنـا لـشعـر كـله هـذر وضيـع
أرغبت لا يـبـقـى بـظلل دارنـا أدب رفيـع
فـالبـائسـون إذا ارتحلت فبؤسهم جداً فـظيـع
قـد كنت تأنسهم بشعـرك والمدى خـوف وجـوع
فـإذا ابتسمت لنكبـة فـالكـل مـبتسم قـنـوع
وإذا غشتـك مسـرة غمـرت صحـائفـك الـدمـوع
مـا كـان أقسى أن تعيش وأنت حسـاس ولـوع
الـنـاس تمنحـهم صـفـاءك كله أرج يـضـوع
مـا كـان أقسى أن تعيش وقـد تفـرقت الجمـوع
ورؤى العـروبة أصبحت خـدعاً يجللهـا الخنوع
لا الشعـر يـوقـظهـا ولا يهـدي مسيـرتهـا بـديـع
أمحمـد المجذوب هـل صدقـاً تطافـأت الشموع
لم يبق من يهـدي الحيـارى لا نبي أو شفيـع . .

إنا حزنا فابتهلنا أن يطيب لك الهجوع
وعزاؤنا أن الحياة شتت فما فيها ربيع
الله يسكنك الخلود وباب رحمته وسيع

علي قاسم المؤيد
سفير صنعاء لدى الخرطوم سابقاً.

من تهراقا ملك نبتا إلى بلقيس ملكة سبأ

جئناك على صهوات الخيل النوبية عبر البحر وفوق الريح الغربية .
جئنا بالريش وسن الفيل جئنا بالقمح وماء النيل .
جئنا بالشعر وبالطمبور وبالرقصات الشعبية .
جئنا بالحب النبتاوي جئنا بالتمر البركاوي من أجمل نخلات النوبة .
من أطول نخلات النوبة جئنا بقلوب مشبوبة نعطيك الحب التهراقي بغير حدود .
فاعطينا حباً يا بلقيس اعطينا الحكمة والإيمان فجذور الحكمة والإيمان يمانية .
أعطينا فرحاً نحمله في زمن الحزن فالفرح الممتد على الأرض العذراء السبأية .
لو يشتل في الجرف النيلي ويسقى بالقادوس كؤوس الحب النيلية يبقى فرحاً أسطورياً .
ويعانق كل الأبدية يمتد جذوراً في الأعماق يمتد فروعاً في الآفاق ينثال عبيراً قدسياً .
ويرطب بالأنداء ليالي القفر الصيفية من جبل البركل جئناك من مدن الحلم الوردية .
من جزر الفرح الممدودات مع التاريخ ملاحم مجد ثورية .
من أرض النخل ومهد الشمس الذهبية .
من نبتا جئنا يا بلقيس .

لننحت فوق جدار السد رسالة حب قدسية.
ولنرسم في وجه سمارا وشماً نوبيا.
وحكايا عرس نوبية وعريساً يحمل سوطاً عنجيا.
ويهز على ضربات الدف المنغومات الجنبية.
لم نأت كما جاءك أبرهة الحبشي ولا كجيوش الغزو التركية.
بل جئناك كما عيد المغني الرابض فوق المارد في وجه الظلم
يدك حصون الرجعية.
جئناك رسوخاً مثل النهر جئناك شموخاً مثل النخل جئناك رخاء مثل
النهل.
جئناك سخاء مثل السهل جئناك إخاءً ممتداً من صدر الأهل لصدر
الأهل.
خيطان من النور الأزلي اللامحدود.
نبعان من العمق الأعمق.
النبع يتوق لصدر النبع.
ليزيل من الصدر الأدران.
وليمسح من وجه الثاني دمع الأحزان.
يمتد الجذر من البركل عند الوادي.
ليلاقي الجذر على أعتاب سمارا.
شرياناً ينبض في شريان.
أحضاناً ترقد في أحضان.
من قبل الميلاد أتينا.
من قبل بدايات الأزمان.
جئنا نتفيأ ظل السد.

ونرقد في حضن التاريخ.
نشرب من مأرب لبن الحب.
نتنسم عطر حضارات الانسان.
وعلى جدران معابد نبتاً.
والإهرامات.
وجدار السد.
الواقف يتحدى كل الأزمان.
وعلى الأوراق البردية.
سطرنا من تهراقا يا بلقيس ملاحم عشق.
ورسالة حب قدسية.
وستبقى في كل الصفحات المكتوبات.
وفي اللوحات المرسومات.
وبين حكايات التاريخ المروية.
صورة تهراقا يضع يديه على كتفي بلقيس.
والبركل يلثم في شوق وجه سمارا.
وتعانق نبتا في إجلال الحب سبأ.
وغيوم الحب المنثور خلف الصورة.
تمتد ظلالاً عبر البحر وفوق الموج.
وعبر مساحات التيه الصحراوي.
ومسافات الزمن الفاصل بين النيل وبين سبأ.
وفوق الريح الغربية.

للشاعر السوداني عثمان علي أبو بكر

محمد أحمد سوركتي

مناجاة

يا حديدة . . يا دياراً هام فيها القلب وجدا .

يـا عيوناً علمتني . . كيف يبقى الحب عهدا .

بل تعدى كل أشكال المواثيق العظيمة .

كل أصداء التراتيل القديمة .

وكان أنقى . . كان أجدى يا حديدة .

يا حديدة . . أنت في أحضانك الأيام سعدا .

أنت للإبداع بحر . . أنت فيض . . أنت فجر .

أنت فيك الغيم شهدا .

وأنا فيك ومنك قد قطعت اليوم وعدا .

أن تكوني . . في عيوني . . داخل الأعماق ودا .

يا حديدة . . أهلك الكرماء ذخر .

ثغرك الوضاء بشر .

شطك الممراح درّ .

شدوك الأخاذ شعر .

وأنا يا بضع عمري .

سوف أشتاقك دوما .

لو دعاني عنك يوما .

موطني أو رمت بعدا .

وستبقى فيّ ذكراك وتبقى جذوة الأشواق وقدا . . يا حديدة .

هدهد سبأ ، من ألحان الموسيقار السوداني بشير عباس .

مرة يا هدهد سبأ . . ودي للسودان نبأ .
وكلم الطير الخداري . . يغشي بيك كل الحواري . . واحكي عن سهدي وداري .
وعن حنين عايش معاي . . لحظة ما فارق خطاي .
وعمره في يوم . . مرة يا هدهد سبأ . ودي للسودان نبأ .
أصلو في إحساسي دايب . وديمة من أنفاسي شارب . . وبرضو يا هدهد سبأ .
أبقى زي أشجع محارب . . زادو في الدنيا التجارب . . وأمشي عدي السكة لهفة .
وأبقى أنزل في المغارب . . أحضن النيلين برأفة . . وأروي شوقك رشفة .
وأقري كل الناس سلام . . للديار والصحبة والغيم المسافر . . كم تحية وكم سلام .
للفيافي وللمرافي ولي حدودنا وعز جدودنا وللقوافي . . أصلو ما في . . .
أحلى من قولة سلام . . وعن كثير أشواقنا أحكي . . لكن أوعك مرة تبكي . . وتمشي تشكي .
عن سهادنا وعن بعادنا . . وعن قليب في الغربة هام . . دي كل لحظة بألف ساعة .
وكل ساعة بألف عام . . يلا يا هدهد سبأ . . ودي للسودان نبأ .

زي سليمان يبقى واقف.. بالخيال تلقاني طايف.. وفي هجير
أشواقي زاحف.
وديمة راجيك في المشارف.. وأوع يا هدهد سبأ.. تمشي
للحلوين وتنسى.
وبرضو زي الغربة تقسى.. أصلي منك والله خايف. وأصلي
يا مرسالي عارف.
زي حنين عشرتنا ما في.. وزي عبير طيبتنا ما في.. وديمة نيل
أشواقنا جارف.
الغريب يلقى البشاشة.. ويلقى كل الدنيا هاشة.. ويلقى
شرفات المحبة. ويلقى أحضان الأحبة.
ديمة مفرودة وتلاطف.. أصلي منك والله خايف.. تمشي
للحلوين وتنسى..
وبرضو زي الغربة تقسى.. وإنت عارف إني لسه.. زي
سليمان يبقى واقف.
بالخيال تلقاني طايف.. وفي هجير أشواقي زاحف.. وديمة
راجيك في المشارف.
مرة يا هدهد سبأ.. ودي للسودان نبأ.

الحديدة ديسمبر ١٩٨٠ م

روعة تعز

بالصدفة شفتك في تعز.. وعرفت أنك بنت عز.. ما يعجبك
قصر الرشيد.
وقليل عليك ذهب المعز.. بالصدفة شفتك في تعز.
مر النسايم خطوتك.. ومحروسة أنت بعفتك.. وقبل الصباح..

تلقى الندى.
فرحان كده وفارش دموعه بسكتك.. وكل الحسان.. خجلت كمان من روعتك.
وحتى الورود.. مشتاقة تشبه طلعتك.. وقالوا البدور.. لو شافتك.
حتسيب دياراً وتمشي ليك.. وتغني ليك.. وتنادي ليك.
يا أغلى من ذهب المعز.. يا روعة معقول من تعز.
إنت زي بلقيس علم.. وحتبغ السلام منك نغم.. مولودة في جنات عدن.
ومنقوشة في صدر الزمن... ألفين سلام ليك يا وطن.. وألفين كمان ليك يا يمن.
في ربوعه بنشوف زيك أنت.. يا أغلى من ذهب المعز.. يا روعة معقول من تعز.

الحديدة مارس ١٩٨١م.

ومحمد أحمد سوركتي عمل كمعلم في الحديدة وقد قام الفنان اليمني محمد صالح شوقي في عام ١٩٧٨م بتلحين قصيدته (روعة تعز) مستخدماً السلم الخماسي في الموسيقى لدى تلحينه لها، كما كتب السوركتي قصائد أخرى في اليمن وعنها صارت واحدة منها أغنية بحنجرة المطرب السوداني زكي عبد الكريم.

خواطر في ليلة ممطرة*

هجرات مجهولة وحقائب محمولة.
آهات مكتومة ودموع مختبئة.
أحزان مطوية.
الصبح مضيء.
والليل أتى ، النجم أفل.
أصوات الليل الوحشية تتعالى.
وأصداء الجبل الصامت تتردد خلف الجدران.
حبات المطر تزعجني تطرق نافذتي.
وأنفاسي تتلاحق بالداخل تسأل من بالخارج.
ودقات قلبي تتزايد.
أحلامي الوردية تحترق تتبدد.
تتلاشى.
ووحوش الليل تطاردني.
تتحدى تخترق النافذة.
تهاجمني.
ويموت الصوت رويداً رويداً.
يصلني مخنوق مطعون بالخنجر.
ليل أبدي مظلم.
وأمل يتيم يتخبط يسبح في بحر.
المجهول.
وخواطر مرعوبة تتجمع تتناثر في الظلمات.

ورغم هذا وذاك حب دائم.

لا يقهر ولا يفتر.

عزيزة مصلح أحمد

مغتربة يمنية بالسودان سابقاً

(*) عن مجلة الوطن ـ صنعاء.

أنا وقلبي

الدبلوماسيون الأدباء والشعراء السفراء ظاهرة عرفتها الخرطوم في اليمنيين، وقد مر بنا الحديث عن شعر الشجني والمؤيد في الخرطوم، ولكن هذه الظاهرة تكتسب مناعتها من وجود الشاعر السفير عبد الله حمود حمران رحمة الله عليه.

وقد قضى حمران فترتين من العمل الدبلوماسي بالخرطوم الأولى من ٦٥ حتى ١٩٦٧م والثانية من ٧٨م إلى ١٩٨١م. أما في الفترة الأولى فقد ارتبط بالسودان عاطفياً وأسرياً، وأما في الفترة الثانية فكان يعاني المرض وتنكر بعض أصدقاء الأمس وهو الحال الذي لازمه إلى حين وفاته في ابريل ١٩٨٢م. وعبر كل مراحل حياته الحافلة عرف اليمنيون والسودانيون فيه على السواء الشاعر والعاشق والصديق والقلب الكبير أكثر مما عرفوا فيه الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية والوزير والسفير. لذلك كان منزله في صنعاء والخرطوم ندوة أدبية دائمة، وهو نفسه يصف الصراع بين التزامات المناضل والعاشق في قصيدته (إليها) التي تغنى بها المطرب السوداني اليمني الأصل الطيب عبد الله والقصيدة من ضمن قصائد ديوانه اليتيم (أنا وقلبي) الصادر عن دار الكلمة بصنعاء :

أنا إن وهبتك كل قلبي وحبي فما يبقى لشعبي.

إن الهوى بعد المبادىء بعد تحرير الجموع.

وقد كان حمران في حياته بالسودان عضواً نشيطاً في ندوة أم

درمان الأدبية برئاسة الأديب السوداني الراحل عبد الله حامد الأمين والتي تسنى له في ما بعد أن يدعو أعضاءها لزيارة أدبية إلى اليمن في يونيو ١٩٧٦ م وها هو يحييهم :

احبابنا ما هتفنا باسمنا يمناً إلا هتفنا بكم يا أهل سودانا
صاغت أمانينا القربى ووحدنا دم سفحناه للأمجاد قربانا
عروبة تتنزى ملء أكبدنا في سفح صنعاء أم في أم درمانا.
دم الأباة الضحايا الغر منهمر من كف غردون ميداناً فميداناً.

ثم يودع هذا الوفد بحرارة لدى مغادرته صنعاء عائداً إلى السودان ويختم القصيدة ببيت شهير لمهيار الديلمي :

أيها الأحباب صنعاء لكم قبلة حرى وعطر نفحا
أبلغوا الخرطوم عنا عابقاً من هوانا توجوها مدحا
واذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

وفي قصيدة (من وحي نار المجاذيب) يبث حمران همومه خارج وطنه إلى صديقه الحميم الشاعر السوداني الراحل محمد مهدي المجذوب الذي أهدى إليه في ما بعد ديوانه (منابر) الصادر عن دار الجيل ببيروت ، ويتذكر وإياه أصدقاءهما من شعراء السودان مبارك حسن الخليفة ومصطفى سند وعبدالله عبد الله حامد الأمين والشاعر المصري الذي عاش في كل من السودان واليمن د. سعد دعبيس . . وفي نهاية القصيدة يحمل ابنه غسان الذي ولد في السودان راية المحبة للسودانيين من بعده :

وللنيل والأنسام همس مموج دوائره تفشيه لحناً موقعا
فنعزف بالأفولة آناً وتارةً نعير الفتى المجذوب قلباً ومسمعا

ونسمع شعراً من مبارك مرة ومن مصطفى أخرى ومن سعد أربعا

وهل غير عبد الله أصدق غيرة إذا ما تجلى الحق أبلج أنصعا

أيا فتية السودان يا نبع روحه ويا فيضه يا عطره المتضوعا

أراد لي البؤس من اختار أرضكم لنفيي عسفاً عن بلادي موضعا

نزلت بكم عامين لو وزنوهما بعمري جاء العمر أدنى وأوضعا

سأنقش في أعماق غسان حبكم ليورث من أبنائه من ترعرعا

وفي قصيدة (إلى الخرطوم) المكتوبة في عيد استقلال السودان العشرين :

هذا أنا واشتياقي غير محدود أعود يا غابة الأحرار والجود.

هذا أنا عدت يا خرطوم فاغتفري هجري رباك فهجري غير مقصود

أستغفر الحسن من تأجوج تنهله عين المحلق دون الخرد الغيد.

وتاجوج رمز لجمال المرأة في السودان وورودها مع غيرها من المقاييس الجمالية السودانية في هذه القصيدة يدل على تشرب الشاعر بالثقافة السودانية.

وفي قصيدة (شوق وشكوى) المهداة للوزير السوداني الأول يومئذٍ الشاعر الراحل محمد أحمد المحجوب تأكيد لطلب اليمن الوساطة السودانية وهي الوساطة السياسية التي قام بها فعلاً المحجوب وأشار إليها في كتابه (الديموقراطية في الميزان):

يا بني السودان يا أهلي وهل لي أهل مثلكم في النوب

لا يخاف الضيم من فيكم نزل لا ولا يعرف معنى الكرب

كلكم عنـد الملمـات بـطل ومنـايـا تـزدري بـالعـطب

ومن ناحية ثانية ظل حب الوطن اليمني القلق الأكبر لحمران الشاعر والسياسي وها هو في مجموعة شعرية بعنوان (صدى الحنين) جمع جزءيها الشاعر اليمني أحمد عبد الرحمن المعلمي:

إنمـا القلب بصنعـاء ولـو كـانت الخـرطـوم لي عنهـا بـديـلا
غـربـة النفس إذا مـا واكبت غـربـة الأوطـان أردتـك قتيـلا
يـا اخضـرارات المنى يـا وطني يـا سنى الآمـال حـزنـا وسهـولا
يـا قـداسـات القـداسـات ويـا كعبتي صبحـاً ومحـرابي أصيـلا

وبعد وفاته كتب السودانيون يعزون أنفسهم برحيله ومنهم الصحفي ابن البان والشاعر الدكتور تاج السر الحسن. فقد كانوا يحسون بمدى حب حمران لهم ولبلادهم ذلك الحب الخالص والوداد المحض.

ويتضمن كتاب (عبد الله حمران حياته وشعره) الذي أعده أحمد صالح الخوربي وصدر عام ١٩٨٨م عن دار الفكر بدمشق، الكثير من قصائد حمران في السودان والتي لم تنشر في ديوانه (أنا وقلبي) ومن ذلك قوله:

أعزتي يـا بني الخـرطـوم أنقلهـا تحيـة عن بني صنعـاء تلتمـع
نقيـة كشعـاع الشمس عـاطـرة كـالـورد لا كلف فيهـا ولا طبـع
إليكم تتنـاهى كـل مكـرمـة وكلكـم لغـزيـر العلم متسـع
تعطون ما زرع الآبـاء بينكم لا يبذل النـاس إلا نفس مـا زرعـوا
زرنـا الشهامـة والأخلاق مشرقـة فيكم وقـابلنـا الإيمـان والـورع
إن العـروبـة والإسـلام آصـرة نشتـد في متنهـا الأقـوى ونجتمـع

ثم رثاؤه للشاعر السوداني الراحل إدريس محمد جماع :

ذوبته حرفاً ولحناً وزفرته نغماً ومعنى
وغمست في آهاته قلماً يشع هوى وفنا
قلباً تلظى الشوق في أغواره فشدا وغنى
وبكى وصلى للجمال إذا تخطى أو تثنى
إدريس يا لحن المحب ويا ربابة كل مضنّى
يا نغمة الحسن الدفوق وواحة الصب المعنّى
ضاقوا بنظرتك البريئة ما عليهم إن نظرنا
إدريس نحن الخالدون على الزمان بما تركنا
تحيا بنا الأجيال ما دامت تقدس ما وهبنا
نحن التراث وغيرنا يأتي إلى الدنيا ليفنى
لولاك يا ابن ذريح ما باهى الزمان بحسن لبنى
إدريس نم ملء الخلود فإنه بالفن أحنى

وقد قيلت القصيدة في يوليو ١٩٨٠م بنادي الخريجين بأم درمان.

وقد كتب الأخ محمد أحمد الحبابي عن ذكرياته في السودان مع حمران (٣٩ - ١٩٨٢ م) ونشرت انطباعاته تلك في كتاب (عبد الله حمران حياته وشعره) السالف الذكر. . . ونختم وقفتنا هذه مع حمران بأبيات للشاعر السوداني مصطفى طيب الأسماء يحييه فيها:

وحييت عبد الله منا تحية هي الود مكنون تضوع ناشره
من النيل ومنطلق الهوى تفوح بها شطآنه ومعابره

وأنت فتى الحمـــران لحن وفـائــه تكـرم منــه وفـده وتســامــره
وكنت لـدى الخرطـوم حلية عقـده وبهجة نـاديه إذا التف سـامره

سيد أحمد الحردلو

سفير الخرطوم لدى صنعاء اليوم وكان قد عمل في السابق مدرساً بمدارس حضرموت بجنوب اليمن. ومن قصائده في اليمن... (من أوراق عاشق سوداني إلى طفلة المدائن صنعاء):

إني أجيء وفي الأحداق صنعاء فالشوق برحني ولدي أنباء
وفي الفؤاد ترانيم تحدثني أن الهوى يمن والحسن صنعاء
الله يا سدة الغالين من عرب الله ويا باحة الآتين إذ جاؤوا
إني أجيء وأحزاني تحاصرني فحررينى من الأحزان صنعاء
إني أرى وطن الأجداد منكسراً وكان كالسيف إن شئنا وإن شاؤوا
وذلك سودانكم يا ويلكم أبداً إن مرة نعت السودان أنباء
صنعاء يا طفلة عربية أبداً أحلى وأغلى وأنقى وهي عذراء
ظلي مروءتنا فالحقد بعثرنا ولملمينا فإن الكل أجزاء

ومن قصيدته (مذكرات جندي من اليمن) التي نشرت في ديوانه الثاني (أغنية إلى يافا) وكتبت بالقاهرة في مارس ١٩٦٣م:

أكتب من صرواح.
أكتب يا صديقتي في مطلع الصباح.
والفجر مد وجهه يعانق البطاح.
ويفتح الطريق للطيور والأقاح.
فيهمر الندى.

على الجبال حولنا ويضحك المدى.
كأنما ينقلني لمصر للشمال.
أتت إليّ طفلة كأنها القمر.
في صوتها دندنة كأنها وتر.
وفي اليدين قهوة وكسرة وماء.
وأمسكت فنجانها تصب في حياء.
تصوري تشكرني.
وقلت في ابتسامة.
أنا هنا في موطني أنا هنا في اليمن أذود عن مصيرنا.
وفي غد نعود إليك يا حبيبتي يا مصر يا هناء.
إنا غداً نعود.
نحمل انتصارنا والحب والغناء.
نحمله إليكمو غصناً من السلام.

ومن نفس الديوان تطالعنا قصيدته (جوليانا) التـي كتبت عام ١٩٦١م :

جوليانا . . الجسد الفائر من أفريقيا والمقلتان من صوماليا.
الأنف شرقي والثغر هندي ولثغة اللسان من أثيوبيا.
تعيش منذ الحرب في عدن.

ومن ديوانه (بكائية على بحر القلزم) قصيدة تحمل نفس هذا العنوان :

وها هم على ساحليك يعودون.
روماً وفرساً بطالمة يهود.
وها هم بنجران ذات الأخاديد.
والنار ذات الوقود.

في المركبـــة

في المركبة هو الديوان الخامس للشاعر اليمني الدكتور محمد عبده غانم والصادر عن دار العودة بيروت عام ١٩٧٩ م حاملاً في مجمله قصائد الشاعر في عقده السابع من العمر. ويتضمن الديوان أكثر قصائد الشاعر المكتوبة في السودان من وحي إقامته فيه أستاذاً للأدب العربي بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الخرطوم ما بين ١٩٧٤ م و١٩٧٧ م... لكن هذه ليست الصلة الأولى للشاعر بالسودان فقد زاره مراراً من قبل يوم أن كان يشرف على التربية والتعليم في بلاده وكان السودان قد بدأ في إيفاد مدرسيه إلى جنوب اليمن وبدا أيضاً في استقبال الطلبة اليمنيين للدراسة فيه، وفي إحدى زيارات الشاعر للخرطوم كتب قصيدته (فوق السحاب) التي ضمها إلى ديوانه الثاني (موج وصخر)الذي صدر عام ١٩٦٢م عن دار المعارف بمصر، ويتذكر الشاعر في القصيدة زملاءه السبدانيين في الدراسة بالجامعة الأمريكية ببيروت في الثلاثينات ومنهم أحمد المرضي وعبد الحليم علي طه ومكي شبيكة ونصر الحاج علي وقاسم أمين والأديب السعودي عبد الله بلخير:

وأمسينا بـوادي النيـل نصغي إلى أنغام خـرتـه العـذاب
ونلقى عنـده قـومـاً كـرامـاً وإخوانـاً من العرب العـراب
بني السـودان جـارهم منيـع وضيفهم المحكم في الرقـاب
وكم فيهم لنـا خـل وفيّ نبيـل النفس سمح كـالـربـاب
يـذكـرنـا بعهـد قـد تلون بـأثـواب الشباب وبـالشباب

ببيروت الجميلة حيث كنا رفاق العلم نداب في الطلاب.

ثم تأتي تهنئته باستقلال السودان في أول يناير ١٩٥٦م وهو اليوم الذي كتبت فيه القصيدة:

لكم سـر الفؤاد بـأن تكـونـوا وفي أيـديكم فصـل الخـطاب
فسيـروا في طـريق المجـد قـدماً وإن حفت بمحتشـد الصعـاب

وإذا عدنا لنستعرض ديوان (في المركبة) وجدنا الخرطوم في لغة غانم الشعرية ملتقى النيلين الأزرق العنيف والأبيض الهـادي فيها لينهضـا برحلة الخلود صـوب الشمـال. فمن (على ...

... هذا قد ازرقا وهذا قد ابيضت صحيفته عتقا
... النيل نهراً مرحباً به وحدّ السودان ما كان منشقا
... الذي كان في الشرق مغرباً وما كان في غرب البلاد غداً شرقا
وأهوى على جيد الجنوب يضمه حناناً شمال القطر وحدة وثقى
فيا ملتقى النيلين بوركت ملتقى وطاب لمن يلقى لديك الذي يلقى
وحييت من واد ذكرنا به الصبا فطرنا له شوقاً وهمنا به عشقا
يقال لنا أهلاً وسهلاً ومرحباً فنعرف في القول الصراحة والصدقا

أما في قصيدة (الأعياد الثلاثة) فيرد على تحية شعرية قديمة لصديقه الحميم العالم السوداني الدكتور عبد الله الطيب:

وإذا الطيب المبجل عبد الله يزداد في المعالي صعودا.

ويناديِ به على الملأ الأستاذ علماً ما أن يطيق حدودا.

لكنه لا ينسى حنينه إلى الوطن. . الحبيبة الماثلة في القلب أبداً كما يقدم لـ (يا ليتني) :

يـا ليتني أنسى بـأني هنـا في غـربتي عـاشقـك الأكبـر
لكن لي في كـل حين رؤى يخفق فيهـا وجهـك الأسمـر

أما في قصيدته (وداع الملتقى) فيودع الشاعر الخرطوم بحرارة ويتذكر في القصيدة زملاءه في هيئة التدريس الجامعية بالخرطوم : ـ

مـلتقـى النـيلـيـن مـن بـعـدك قـد ضـاع سـبـيـلي
أتـرانـي راحـلاً عـنـك إلـى خـيـر بـديـل
لـسـت أدري لـكـن الأوطـان أولـى بـالـنـزيـل
ويـصـنـعـاء مـن الإغـراء مـا يـروي غـليـلي
مـلتقـى النـيلـيـن هـل بعـد الـتـلاقي مـن مـثـيـل
فـلقـد عشـت وحـولي فـيـك في الـبـذل الـمـنـيـل
من كـريـم الـصـحـب مـا طـوق عـنـقـي بـالـجـمـيـل
من كـفـتـحـي والـفـتـى الـريـح فـي الـخـيـر الـجـزيـل
أو صـلاح الـديـن والـواثـق والـحَـبْـرِ الـجـلـيـل
أو كـعـز الـديـن أو يـوسـف ذي الـفـضـل الـفـضـيـل
ولـو أنـصـفـت مـا أغـفـلت ذكـراً لـزمـيـل
حـاضـراً أو غـائـبـاً عـن ظـاهـري لا عـن دخـيـلي
سـيـمـا الـطـيِّب عـبـد الله ذي الـبـاع الـطـويـل
مـلتقـى النـيلـيـن قـد كـنـت إلـى الـخـيـر دلـيـلي

ملتقى النيلين ما زلت على العهد الأصيل
ولقد خلفت للعهد على الشط سليلي
يرد الحوض ليسقي من نمير سلسبيل
واثقاً أنْ سوف يحظى كأبيه بالجزيل

وقصائد أخرى في السودان تضمنها ديوان (في المركبة) منها قصيدة (في سوق عكاظ) التي كانت شعاراً لأسبوع عكاظ الأدبي في الجامعة، إضافة إلى قصائد أخرى لم تنشر في الديوان منها (عيد على النيل) و (سوياً) المهداة للطبيب عمر بليل و (وداع) المهداة للدبلوماسي اليمني بالخرطوم عبد الله المساجدي : -

وشاءت لنا السودان يوماً لقاءنا فكانت بجمع الشمل خيراً من الوطن
وكم لبني السودان سبق إلى العلا وفضل على أبناء تبع ذي يزن
فيا ملتقى النيلين بوركت خضرة وبورك فيك الماء والمطلع الحسن
وما مثل عبد الله في القوم ماجد تواضع حتى استغرب المجد وافتتن
ولو علم المجد الأصيل مكانه لأدرك أن المجد في السر لا العلن

وحتى بعد عودته إلى صنعاء نجد الشاعر على حرارة عاطفته نحو ملتقى النيلين ومن ذلك قصيدته (الثرى النابض) المنشورة في آخر ديوان في المركبة :

وأتى المهاجر من ضفاف النيل حيث الود محضا
ورحابة السودان في الأخلاق والأذواق أيضا
لولا الولاء لكان شط النيل أولى منك ربضا
لكنها صنعاء نادت فاستجاب لها وأمضى
وغدا يشم كرومها ويذيبها لثماً وعضا

ويطوف فيها بالمفاتن بعضها قد فاق بعضاً.

وأما ما فات الشاعر أن ينشره في ديوانه الخامس فقد فعل في ديوانه السادس والأخير (الموجة السادسة) الذي تضمن هو الآخر عدداً من القصائد المنشورة في الصحف السودانية والعربية ومن ذلك قصيدته (في السبعين):

وأخيراً وافت السبعون من أعوام عمري
بين بيروت وشط التايمز شهراً تلو شهر
مدنف يطلب برءاً من أذى داء وضرّ
واستقر الشوط في السودان في خفض ويسر
في ضفاف النيل والأزرق في الأبيض يجري
حيث أم درمان والخرطوم بحري وبري
حيث للمقرن نهر لاب مشدوهاً بنهر
ملتقى النيلين أكرم باللقا طيباً وأحر
أي عيب في الفتى أن يخلط البيض بسمر
أن يجد في «الثوب» كـ«الشرشف» ما يسبي ويغري
يتهادى وهو والصندل في طي ونشر

والديوان صادر عن دار أزال ببيروت في ١٩٨٥م.

ومن زاوية أخرى استثمر الشاعر وجوده بالسودان بأن وثق صلاته بأدبائه من الذين عرفهم في الماضي كعبد الله الطيب ومحمد مهدي المجذوب ومحمد عثمان يس أو ممن التقى بهم لأول مرة كتاج السر الحسن ومحمد أحمد المحجوب... ثم كلل فترة

وجوده هناك بأن طبع مسرحيتين شعريتين له عن دار النشر بجامعة الخرطوم هما (الملكة أروى) التي كان قد أخرجها إذاعياً القاص السوداني المرموق الطيب صالح في القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية بلندن ومسرحية (عامر بن عبد الوهاب) وقدم لهما المسرحي السوداني د. خالد المبارك ثم جاء د. غانم ليكتب مقدمة لمسرحية (ريش النعام) للدكتور خالد المبارك. وبينما استعرض المبارك في مقدمته دور المسرح اليمني الحديث في التحرير والنهضة قدم غانم لمسرحية (ريش النعام) بكلمة جاء فيها: (وأخيراً فليطمئن دكتور خالد بأن الذي نتج عن اختلاط النهرين الأبيض الهادي بالأخضر العنيف كان الفضائل المشتركة والجمال المزدوج فقد كنا نظن أن بشاراً وابن الرومي والشريف الرضي لم يتركوا مزيداً لقائل في الجمال الأسود حتى جاء دكتور خالد ليقول لنا على لسان ياسر «من يتزوج من نساء السودان لا يذكر غيرهن»).

كل هذا وشاعرنا ينهمك في التدريس الجامعي والإشراف على أطروحات الطلاب.

وأخيراً فهذه أبيات من قصيدة جديدة للدكتور غانم قيلت بمناسبة السيول والفيضانات التي اجتاحت السودان عام ١٩٨٨ م:

كم ذهلنا خرطوم للنبأ المشؤوم لما أطار منا الصوابا
أين سود العيون كم سحرننا وعرفنا منها الهوى والشبابا
أين سمر السيقان يعزفن في القاع بأبنوسها اللحون العجابا

ما دهى النيل يستبد بخرطومه وبالمقرن النبيل رحابا
لو بكيناك بالدموع إلى أن جفت الموق لم تحرنا جوابا
لو نوفي المصاب خرطوم ما في النفس من حرقة لزاد التهابا
لو نواسيك بالمئين وبالآلاف لم نقض حقك المستجابا

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

